جامعة محمد خيضر بسكرة
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
قسم العلوم الإنسانية

مذكرة ماستر

الميدان: العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية
الفرع: تاريخ
التخصص: تاريخ معاصر

رقم: .....

إعداد الطالب:
رشيد العايدي

يوم: 25/06/2018

المفتي الجزائري محمد بن العنابي
وجهوده الإصلاحية(1775-1851م)

لجنة المناقشة:

ميسوم بلقاسم	أ. مح أ	جامعة محمد خيضر بسكرة	رئيسا
علي آجقو	أ. د.	جامعة الحاج لخضر باتنة	مقررا ومشرفا
محمد الطاهر بنادي	أ. مح أ	جامعة محمد خيضر بسكرة	مناقشا

السنة الجامعية : **2017 - 2018**

قال الشيخ العلامة عبد الحميد بن باديس "...ولكن هذا المغرب العربي رغم التجاهل والتناسي من إخوانه المشارقة كان يبعث من رجال السيف والقلم من يذكرون به ويشيدون بإسمه ويلفتون نظر إخوانهم المشارقة إلى ما فيه من معادن للعلم والفضيلة ومنابت للعز والرجولة ومعاقل للعروبة والإسلام..."

ابن باديس: حياته وآثاره (4/144).

شكر و تقدير

أتقدم في هذا المقام بخالص وأسمى معاني الشكر والتقدير والاحترام لكل الذين ساعدوني لإخراج هذا العمل إلى ما هو عليه، وزودوني بالعون والدعم في أصعب فترات ومراحل البحث.

أحمد الله أن أكرمني بدعم المشرف أستاذي الفاضل الأستاذ الدكتور علي أجقو الذي شجعني ودعمني ولم يدخر أي جهد في نصحي وتوجيهي طيلة مدة البحث بالرغم من انشغالاته والتزاماته العديدة، فكلما تحدثت إليه أشعر بالفخر والاعتزاز يراوداني فقد كان لي بمثابة الأخ لأخيه وكان مصدر تثقيف وتعليم وإرشاد، عطاؤه اللامتناهي يستوجب تشكرنا.

وأوجه خالص شكري للأستاذين جمال عناق وعلي زيان، وإلى كل موظفي مكتبات جامعة بسكرة الذين قدموا لي يد المساعدة.

كما أقدم شكري الخالص للأسرة العلمية بكلية العلوم الإنسانية، قسم التاريخ الأساتذة الأفاضل ميسوم بلقاسم، رضا حوحو، محمد الطاهر بنادي، ناصر الدين مصمودي، لخميسي فريح الذين شجعوني بالكلمة الطيبة وبتوجيهاتهم التي كنت بحاجة إليها.

شكري وتقديري وكبير امتناني إلى عائلتي الصغيرة التي وفرت لي الظروف المناسبة لإنجاز البحث، والِديّ الكريمين وزوجتي وأولادي والعائلة الكبيرة.

إهـــداء

إلى والِدَيّ الكريمين.

إلى كل من طعم عقلي بالعلم وقلبي بالإيمان.

إلى أسرتي الكريمة.

زوجتي.

أبنائي (مرام– لينا – هزار – آدم).

(ربِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ).

سورة النمل، الآية 19.

<u>قائمة المختصرات باللغة العربية</u>

ج: الجزء

مج: مجلد

د .م.ج: ديوان المطبوعات الجامعية

د .ت: دون تاريخ

ش.و .ن.ت: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع

ش.و.ن.إ: الشركة الوطنية للنشر والإشهار

م.ت .م: المجلة التاريخية المغربية

م.د .ت: مجلة الدراسات التاريخية

م.و.ك: المؤسسة الوطنية للكتاب

ط: الطبعة

ع: العدد

(ها): هامش

باللغة الفرنسية

B. N .A : Bibliothèque Nationale Algérienne
E .N .L : Entreprise Nationale Du Livre
Edit : Editeur
Imp. : Imprimerie
O.P.U : Office des publications universitaires
PUB : Publier
P.U.F : Presse Universitaire De France
R.A : Revue Africaine
R.H : Revue Historique
R.S.A.C : Recueil Des Notices et Mémoire De La Société Archéologique De La Provence De Constantine
Trad: traduction

مقدمة

وصل العالم الإسلامي في أواخر القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر الميلاديين إلى حالة من التشرذم والانكماش والضعف –بعدما عمت الفتن الداخلية بلادهم وتنازعوا الأمر فيما بينهم–، ناهيك عما أصاب المجتمع من جمود فكـري واختـلاف في الأهواء، وبالمقابل نجد الغرب الأوروبي يخطو بثبات خطوات عملاقة جعلت منه في ركب التقدم متفوقا عن العالم الإسـلامي في كل الميادين، مما أوعز له أن يتحرش به بعدما صارت الغلبـة له.

وفي ظل هذا الوضع الإسلامي المتردي والمأسوي في شتى المجالات، ومن أجل البحث في أسباب تراجع العالم الإسلامي وتوالي إنهزاماته وسر غلبة وتفوق أعدائه، كان لزاما أن يصدق حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي قال فيه: "إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها" فكان ذلك بأن برز في العالم الإسلامي مجددا ومصلحا من أبناء الجزائر رفض كل هذا الوضع، بداية برفضه للتواجد الاستعماري ببلاده واصطدامه به، مما كلفه التغريب والإبعاد عن وطنه، ليواصل جهاده بالقلم من منفاه بمصر، حيث تزعم التجديد الإسلامي والإصلاح في المجال العسكري والسياسي والاجتماعي والديني، وكان ذاك هو المفتي الجزائري محمد بن العنابي.

من هنا تبرز أهمية موضوع هذا البحث الذي حمل عنوان: **المفتي الجزائري محمد بن العنابي وجهوده الإصلاحية (1775–1851م)**، هذه الجهود التي شملت ميادين متعددة تاركة تأثيرا إيجابيا ليس على الجزائر ومصر فقط بل على العالم الإسلامي بأكمله.

وتوعز الأسباب التي أدت إلى دراسة هذا الموضوع إلى:

<u>أسبـــاب ذاتـيـــة</u>: من خلال الثناء على هذا العلامة من قبل أستاذنا المحترم البروفيسور علي أجقو وما تركته من تأثير ايجابي داخل الوطن وخارجه، والذي لم يوف حقه في الكتابـة مقارنـة بما كتب عـن شخصيات مشرقية أقل منه شأنا وسبقهم إلى التجديـد الإسلامي والإصلاح في العديد من الميادين، مما حفزني في دراسة هذه الشخصية والكتابـة

عنها، إضافــة إلى الاطـلاع علـى واقـع علمـاء الجزائـر، ومـدى تميزهم وتأثيرهم داخل المجتمع الجزائري وكذا العالم الإسلامي ككل.

وأسباب موضوعية: أخرى تتمثل في:

- معرفة مدى فاعلية آراء ونشاطات علماء الجزائر في تحديد مستقبل الدولة الجزائرية باعتبار المفتي قطب من أقطاب المعارضة الأولى للمحتل الفرنسي.
- معرفة مكانته بين العلماء والسلاطين والقادة السياسيين والعسكريين.
- معرفة مدى تأثير الفكر الإصلاحي للمفتي بن العنابي عند الحكام والساسة، وكذا المجتمع الإسلامي.

وعلى ضوء ما تقدم تكون صياغة **إشكالية الموضوع** كالآتي:

إلى أي مدى يمكن اعتبار المفتي الجزائري محمد بن العنابي مجددا و مصلحا ؟ وما هو موقفه من قضايا عصره.

ويندرج تحت هذه الإشكالية الرئيسية مجموعة من **التساؤلات**:

– من هو المفتي محمد بن العنابي؟ وكيف كان دوره في مقاومة المحتل الفرنسي؟

– وما هو التأثير الذي تركه في نفوس الجزائريين من خلال موقفه البطولي الذي استبسل فيه ليواصلوا مسيرته النضالية الرافضة للاحتلال؟

– وما هي أهم الإصلاحات التي جاء بها؟ وهل بنفيه توقفت مسيرته أم واصل إصلاحاته؟ وإلى أي مدى وفق في جعل الحكام والساسة العسكريين يسعون لتطبيقها؟

وللإجابة على هذه الإشكالية اعتمدت **خطة منهجية** حاولت فيها دراسة جميع الاتجاهات الخاصة بالموضوع، حيث قسمت الدراسة إلى ثلاث فصول كل فصل يحتوي على مباحث وبدوره يحتوي المبحث على مطالب.

بدأت الدراسة **بمقدمة** ثم **فصل تمهيدي** عرفت فيه عصر المفتي محمد بن العنابي سياسيا واجتماعيا وثقافيا، وتم التعرض إلى الفترة التي عاشها المفتي بالجزائر قبل الاحتلال وأثنائه وكذا عند تواجده بمصر.

أما **الفصل الأول** فقد خصصته للتعريف بالمفتي محمد بن العنابي، موضحا فيه نسبه وأسرته ومرحلة طفولته وما ميزها من تعليمه الأولي وأهم المشايخ الذين تلقى العلم على أيدهم، وكذا المذهب الذي تمذهب به.

وفي **الفصل الثاني** تطرقت فيه إلى جهوده الإصلاحية وعطاءاته العلمية، حيث تناولت جهوده في الميدان السياسي، العسكري، الديني والاجتماعي، إضافة إلى أهم المناصب التي تولاها داخل الجزائر ومصر، وكذا أهم مؤلفاته وأرائه.

ثم في **الفصل الثالث** والأخير تطرقت إلى المحطات الكبرى للمفتي بن العنابي من خلال هجرته ثم عودته وموقفه من الاستعمار الفرنسي الذي انتهى بنفيه وكذا تلاميذه ومحنته ثم وفاته لننهيه بأقوال العلماء فيه.

وأنهيت الدراسة **بخاتمة** تضمنت خلاصة عن الفكر التجديدي والإصلاحي للمفتي محمد بن العنابي وموقفه من الاحتلال الفرنسي.

وفي دراستي لهذا الموضوع اعتمدت على مجموعة من **المناهج** تتمثل في:

- **المنهج التاريخي التحليلي:** ويظهر ذلك في تأريخ الأحداث وتحليل مجرياتها، وتحليل أهم النصوص في الكتابات التي ألفها المفتي بن العنابي.

- **المنهج الوصفي:** من خلال وصفي للوقائع والأحداث التاريخية التي عاشها المفتي.

- **المنهج المقارن:** وهو ضروري للمقارنة بين فترتي نهاية الحكم العثماني وبداية الاحتلال الفرنسي.

في محاولة تقديم إجابات للإشكالية المطروحة سلفا واجهتني **صعوبات** أهمها:

بدءا بطبيعة الموضوع في حد ذاته، حيث انحصر في مدة زمنيـة صادفـت حُكمين مختلفين، عثماني وفرنسي، كما نختص بالدراسة تواجده بالجزائر ومصر، مما صعب هيكلة خطة منهجية لدراسة الموضوع بشكل تسلسلي.

زيادة على قلة المادة العلمية المتخصصة والدراسات المتعلقة بهذا الموضوع.

وجود آراء متضاربة حول بعض الأحداث التاريخية عن هذه الشخصية، وانعدام هذا التحديد التاريخي عند البعض الآخر.

تمت معالجة هذا الموضوع بالاعتماد على مجموعة من **المصادر والمراجع** التي تفاوتت أهميتها وقيمتها من حيث المادة التي تحتويها.

بداية **المصادر العربية** نذكر منها:

- **السعي المحمود في نظام الجنود** لمحمد بن محمود بن العنابي، وهو أهم مصدر اعتمدت عليه كونه يعد أهم مؤلفاته وأجلها، تضمن مشروعه الإصلاحي الذي نادى من خلاله إلى الإصلاح السياسي والاجتماعي والعسكري.
- **أعيان من المشارقـة والمغاربة (تاريخ عبد الحميد بيك)** لعبد الحميد بيك، ويعد هذا الكتاب مهم كون عبد الحميد بيك كان معاصرا للمفتي بن العنابي وإلتقى به مرات عديدة، ومعظم ما ذكره عن المفتي سمعه منه شخصيا.
- **المرآة** لخوجة حمدان بن عثمان، صاحب الكتاب بدوره كان معاصرا لمترجمنا، ووافقه في بعض آرائه، ويعرفه معرفة جيدة لدرجة أنه تدخل لأجله لدى كلوزيل من أجل أن يمنحه مدة لأجل أن يصفي أملاكه قبل مغادرته البلاد منفيا.
- **مجموع فيه إجازات من علامة الجزائر بن العنابي الأثري (1189-1267)**، والتي جمعها وحققها محمد زياد بن عمر التكلة، كان من أهم المصادر المعتمدة في البحث لما يحويه من إجازات منحها لتلاميذه، إضافة إلى بعض المحطات المختصرة عن سيرته.

- **تقييدات بن المفتي في تاريخ باشوات الجزائر وعلمائها** لابن المفتي حسين بن رجب شاوش وقد أفادتني كثيرا كون مؤلفه ركز على باشوات الجزائر وعلمائها خصوصا أسرة بن العنابي.
- **مذكرات نقيب أشراف الجزائر (1754-1830)** لأحمد الشريف الزهار ذكر أحداث مهمة خاصة في تولية الباشوات والحروب التي قامت بها الجزائر وعلاقتها مع جيرانها، إضافة إلى معلومات هامة عن حصار الجزائر ومراحل احتلالها.
- **رحلة العالـم الألمـاني إلى الجزائـر وتـونس وطـرابلـس (1145هـ/1732م)** للمستشرق ج. أو. هابنسترايت، وهو كتاب لا يقل أهمية عن سابقيه كونه تضمن أربعة (04) رسائل تفصل حالة الجزائر قبل الاحتلال الفرنسي وزمن التواجد العثماني مست جوانب عديدة كالعادات والتقاليد والقضاء والقبائل والسكان والعلاقات مع الجيران والخزينة، إضافة إلى نظام الحكم... إلخ، وكذا رحلته إلى تونس وطرابلس.

أما **المصادر باللغة الأجنبية** نذكر منها:

- DE VOULX **:TACHRIFAT RECUEIL DE NOTES HISTORIQUES SUR L'ADMINISTRATION DE L'ANCIENNE RÉGENCE D'ALGER**

أحداث هذا المصدر دقيقة كونه عايش الأحداث وكتب معظمها بدقة متناهية باليوم والشهر والسنة، كما فصل في الكثير من الأحداث التي اغفل عنها بعض المؤرخين.

Clauzel, **Observation du général Clauzel sur quelques actes de son gouvernement d'Alger**.

تعتبر آراؤه مهمة كونه تولى قيادة الجزائر في أوت 1830م وبقي فيها إلى شهر فيفري 1831م ثم عاد مرة ثانية كقائد للجيش الفرنسي في جويلية 1835م ليعزل بعد فشله في حملة قسنطينة، وعليه كل ملاحظاته تخدم موضوعي كونه هو من سجن مترجمنا ثم نفاه.

أما أهم **المراجع** المعتمدة في الدراسة نذكر:

- **رائد التجديد الإسلامي محمد بن العنابي** لأبي القاسم سعد الله، وهو كتاب خاص بسيرة المفتي بن العنابي بالتفصيل ومؤلفاته.

- **الرؤية الفكرية في الحاكم والرعية لدى (ابن المقفع وابن العنابي والكواكبي)** لعمر بن قينة، وتناول من خلاله مؤلفه النظرة المتقاربة بين ابن المقفع وابن العنابي والكواكبي حول الحاكم والرعية، حيث من خلاله ركز المؤلف على كتاب السعي المحمود لنظام الجنود فيما يخص نظرة المفتي بن العنابي للإصلاح السياسي والعسكري ونظرته التجديدية له.
- **معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر** لعادل نويهض، وهو معجم خاص بمفكري الجزائر وعلمائها، تناول فيه المؤلف أهم أعلام أسرة المفتي محمد بن محمود بن العنابي، كما قدم لمحة شاملة وموجزة عن مترجمنا.
- **أعلام وأعمال في الفكر والثقافة والأدب–دراسة–** لعمر بن قينة، وهو كتاب جدير بالقراءة خصص منه صاحبه جزء للعلامة محمد بن العنابي حيث قدم فيه لمحة عن سيرة المفتي وتقدمه على أقرانه الذين عاصروه وكيف سبقهم إلى مشروع الإصلاح والتجديد الذي نادى به قبلهم بمدة تفوق الخمس (05) سنوات، كما أفادني من خلال تحليله لكتاب السعي المحمود في نظام الجنود.

الفصل التمهيدي

عصر المفتي محمد بن العنابي
سياسياً و اجتماعياً و ثقافيا.

المبحث الأول: الحالة السياسيــة

المبحث الثاني: الحالة الاجتماعية

المبحث الثالث: الحالة الثـقافيــة

حتى نستطيع الوقوف على أهم معالم شخصية المفتي الجزائري محمد بن العنابي، لا بد أن نلقي الضوء على الظرف الزمني الذي عاش فيه، و نتعرف على أبرز الملامح السياسية والاجتماعية والثقافية لذلك العصر، فالإنسان وليد عصره ونتاج مجتمعه، أما العصر الذي وُجد فيه المفتي الجزائري محمد بن العنابي فهو الربع الأخير من القرن الثامن عشر إلى بداية النصف الثاني من القرن التاسع عشر، وهو بذلك يكون قد عاصر نظامين مختلفين لبلاده الجزائر الأول هو النظام العثماني والثاني هو الاحتلال الفرنسي، إضافة إلى معاصرته لنظام الدولة المصرية الحديثة من تاريخ نفيه إليها حتى وفاته.

المبحث الأول: الحالة السياسية.

عاش المفتي الجزائري محمد بن العنابي في أواخر حكم الدولة العثمانية والذي كان من سنة (1775– 1830م)، وبداية الاحتلال الفرنسي لبلاده الجزائر وقد اتسم الحكم العثماني في هذه الفترة بالضعف، وعلى الرغم من أن الإيالة الجزائرية كانت تابعة للخلافة العثمانية إلا أنه بمرور الوقت أصبح الداي حاكما مستقلا يحكم دون مشورة الديوان لا سلطان للخلافة العثمانية عليه إلا السيادة الاسمية إذ كانت تبعيتها لها صورية فقط[1]، وكان لاستقلال ولاياتها الواحدة تلو الأخرى من بين أهم الأسباب التي جعلت الدول الأوربية تتكالب عليها، مما سهل استعمارها لتسقط الجزائر مثلها مثل الكثير من الدول العربية تحت نير الاحتلال، وقد عُدّ الاحتلال الفرنسي الذي ابتليت به الجزائر أشد وأبشع أنواع الاستعمار الذي عرفته الجزائر طيلة فترات احتلالها، والذي لم يسلم من نهبه حتى الدفاتر والوثائق الجزائرية خلال الفترة العثمانية[2]، بل قد شبه أحد الضباط الفرنسيين والذي كان شاهدا عيانا الجيش الفرنسي المحتل والذي امتد طغيانه من سنة (1830 إلى 1962م) بجيش الوندال الذي إحتل روما[3]، الشيء الذي ولّد معارضة شديدة رفضا لهذا الإحتلال الظالم والغاشم، وكان في مقدمة أبناء الجزائر وأبطالها المعارضة الصريحة للمفتي بن العنابي للحكم الفرنسي لا سيما السياسة التي اتبعها "كلوزيل" والتي عجلت بسجنه ثم نفيه إلى مصر التي بقي فيها حتى وفاته.

ففي الفترة التي حكم فيها العثمانيون الجزائر ما بين سنتي (1518–1830م)، إذ حكموا ما يزيد على ثلاثة قرون من الزمن، عاش منها المفتي الجزائري محمد بن العنابي خمسة وخمسون سنة في ظل الحكم العثماني، وفي بداية هذا العهد نظم خير الدين الجزائر بعد أن أصبحت إيالة

(1) عبد المنعم الجميعي، **الدولة العثمانية والمغرب العربي**، دار الفكر العربي، القاهرة، 2007، ص.12.

(2) Pellissier de Reynaud, Annales Algériennes, tome 1, librairie militaire, Paris,1854 , p.74 .

(3) Ibid, p.75.

عثمانية تنظيما عسكريا، حيث لم يطرأ عليها تغييرا كبيرا حتى الاحتلال الفرنسي لها سنة 1830، وتألفت من المشاة فقط، لأن الفرسان كانوا يؤخذون من بين قدامى الأغوات أو أبناء البلاد الأصليين للمحافظة على السلطة فيها[1]، وكان يتم اختيار الداي عن طريق الإنتخابات إذا ما توفي على سريره، أما إذا قتل فإن المنافسة هي التي تفرض المترشح الجديد الذي يغير غالبا كل الموظفين[2].

وتعد الفترة التي عاشها المفتي بن العنابي أثناء الحكم العثماني للجزائر من أصعب الفترات وأشدّها، إذ فقدت الخلافة العثمانية خلالها هيبتها، وضَعُف شأنها، وأصبح الخليفة عبارة عن رمز ديني ليس له من السلطة سوى الاسم فقط، حيث في نهاية هذه المرحلة أصبح الداي الذي هو الحاكم الفعلي للدولة الجزائرية يختار من ضباط الإنكشارية مما أعطى للإيالة الجزائرية طابعا حكوميا شبيها بالحكم الجمهوري الحديث[3].

والمفتي الجزائري محمد بن العنابي (رحمه الله) في فترة نضوجه الديني والسياسي وتأثيره وتأثره بالمجتمع قد عاصر كل من الباشاوات الآتية أسمائهم[4]:

- حســـــن الثالـــث: والذي كان حكمه ما بين (11 يوليو 1791 - يونيـــــو 1798)
- مصطفى الثانـــــي: والذي كان حكمه ما بين (يونيـــو 1798 - 01 يوليـو 1805)
- أحمــد الـثــانـــي: والذي كان حكمه ما بين (01 يوليو 1805 - 15 نوفمبر 1808)

(1) أندري ريمون، **المدن العربية الكبرى في العصر العثماني**، تر.لطيف فرج، دار الفكر للدارسات والنشر والتوزيع، القاهرة، 1991، ص ص.56-58 .

(2) KADDACHE (M.) ,**L'Algérie durant la période Ottomane**, O.P.U ,Alger, 1991, p.91.

(3) أبو راس الناصري، **عجائب الأسفار ولطائف الأخبار**، دراسة وتحقيق محمد بوركبة،ج1، منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، الجزائر، 2011، ص.32 .

(4) عزيز سامح التر، **الأتراك العثمانيون في إفريقيا الشمالية**، تر.محمود علي عامر، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، 1989، ص.664 .

- علـــــي الرابـــــع: والذي كان حكمه ما بين(15 نوفمبر 1808 – فبـرايـر 1809)
- علـــــي الخـــامس: والذي كان حكمه ما بين (فبـــرايـر 1809 – مـــارس 1815)
- محمـــــد السادس: والذي كان حكمه ما بين (مـــــارس 1815 – 11 أبريل 1815)
- عـــــمـر آغـــــا: والذي كان حكمه ما بين(11 أبـريل 1815 – 02 مايـو 1817)
- علي السادس خوجة: والذي كان حكمه ما بين(02 مايو 1817 – 01 مارس 1818)
- حسين الـثـــالـــث: والذي كان حكمه ما بين(01 مارس 1818– 05 يوليـو 1830)

وعاصر من الخلفاء العثمانيين السلاطين الآتية أسمائهم[1]:

- السلطان عبد الحميد الأول: والذي كان حكمه ما بين (1774– 1789)
- السلطان سليم الثالـــــــث: والذي كان حكمه ما بين (1789– 1807)
- السلطان مصطفى الرابـــع: والذي كان حكمه ما بين (1807– 1808)
- السلطان محمـــــود الثاني: والذي كان حكمه ما بين (1808– 1839)
- السلطان عبد المجيد الأول: والذي كان حكمه ما بين (1839– 1861)

كما عاصر في منفاه بمصر كل من[2] :

- محمد علـــي باشـــا: والذي كان حكمه ما بين(18 يونيو 1805 – 20 يوليـو 1948)
- إبـــــراهيم باشـــا: والذي كان حكمه ما بين(20 يوليو 1948 – 10 نوفمبر 1948)
- عباس باشا الأول: والذي كان حكمه ما بين(10 نوفمبر 1948 – 13 يوليـو 1854)

(1) محمد سهيل طقوش، **تاريخ العثمانيين من قيام الدولة إلى الإنقلاب على الخلافة**، ط3، دار النفائس، بيروت، 2013، ص.591 .

(2) عمر الإسكندري وسليم حسن، **تاريخ مصر من الفتح العثماني إلى قبيل الوقت الحاضر**، ط2، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1416هـ - 1996م، ص.203.

وقد كان المفتي بن العنابي ذا منزلة رفيعة لدى الحكام الجزائريين والخلفاء العثمانيين، لذا أُختير سفيراً بين قادة الدولة الجزائرية لكل من تونس والمغرب والخلافة العثمانية، حيث كانت جميع المهام التي أرسل من اجلها قد كللت بالنجاح ووُفق فيها لدرجة كبيرة، وهذا دليل على انه كان مفاوضا نبيها وناجحا وله حنكة سياسية عالية، مما أهله لتقلد المهام التي كلف بها عن جدارة واستحقاق.

إن الظروف التي عاش فيها المفتي بن العنابي، والمتمثلة في ضعف الخلافة العثمانية وتهميش الخلفاء من قبل الباشاوات واستقلالهم عن الباب العالي حيث لم يتبق إلا التبعية الصورية للخلافة العثمانية فقط، قد أثار الفتن وزاد في التناحر فيما بين الجند وانتشرت الفوضى، كما قابل التنظيم الجيد للجنود الأوربية وتجديد ترسانتها الحربية، ركودا على جميع المجالات العسكرية والتكتيكية، والبقاء على الطابع التقليدي في تنظيم الجيش وعدم تجديد العتاد العسكري المستعمل في الحروب، ونظرا لكون المفتي محمد بن العنابي قريب من الباشاوات سواء في بلده الجزائـر أو في منفـاه بمصر وتوليـه لمناصب هامـة فـي الدولـة كالقضاة والفتوى والسفارة، كل هذهِ الأمور هيأته للخوض في السياسة، والكتـابـة فيما يتعلق بشروط تحقيق النصر والغلبة على أعداء الإسلام، وحتى اختيار اللباس الملائم للحروب، وتحديد الرتب العسكرية، فضلاً عن نصائح في السياسة والعسكرة، مما جعله يتبوأ مكانة مرموقة بين المصلحين المجددين ويتفوق حتى على المفكرين الذين عاصروه.

المبحث الثاني: الحالة الاجتماعية.

كانت الجزائر في أواخر العصر العثماني وبداية الاحتلال الفرنسي تضم تحت سلطتها أجناس عديدة تشكل بمجموعها السكان، إذ نجدها تنقسم إلى مجموعتين كبيرتين: المجموعة الأولى وتظم سكان المدن، وتتمثل في الأقليات التركية الذين يخضعون لنظام قضائي خاص ولهم امتيازات خاصة[1]، وجماعة الكراغلة الذين لم يكن الأتراك يثقون فيهم حيث يعتبرونهم جزائريين أكثر مما هم أتراك[2]، وقد ظهرت هذه الفئة من زواج الجنود الإنكشارية بالجزائريات وظهرت في المدن التي تقيم بها حاميات تركية[3]، وكذا جماعة الحضر الذين كان لهم تأثير على مختلف أوجه الحياة وكانوا يتميزون بدقة الذوق والملبس[4]، ويقول عنهم فيلهلم سيمبر "**أن الحضر هم أهم عنصر في المدينة ويتراوح عددهم بين الثلاثين والأربعين ألف**"[5]، إضافة إلى المجوعات البرانية والدخلاء، كما تتواجد الجالية اليهودية بأعداد كبيرة بمدينة الجزائر والذين يسدد الواحد منهم ضريبة تقدر بريالين في الشهر[6]. وقد مارسوا العديد من النشاطات الاقتصادية كالتجارة والحرف، إذ كان لهم متاجر وكان منهم البقالون والخياطون وصانعوا الزجاج، بالإضافة إلى صك العملة وصناعة المجوهرات خاصة الحلي والمرجان، وكذا بروزهم في بيع غنائم السفن الحربية المسيحية

(1) صالح عباد، **الجزائر خلال الحكم التركي(1514-1830)**، ط2، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، 2012، ص ص.356-357 .

(2) عبد الله شريط ومحمد الميلي، **الجزائر في مرآة التاريخ**، مكتبة البعث، قسنطينة، 1965، ص.138 .

(3) أبو راس الناصري الجزائري، المصدر السابق، ص.36 .

(4) Lucette valensi, **le Maghreb avant la prise d'Alger (1790-1830)**, Flammarion, France, 1962, pp .20-40.

(5) أبو العيد دودو، **الجزائر في مؤلفات الرحالين الألمان(1830-1855)**، ش.و.ن.ت، الجزائر، 1975، ص.12.

(6) ج.أو.هابنسترايت، **رحلة العالم الألماني إلى الجزائر وتونس وطرابلس(1145هـ-1732م)**، تر و تق و تع. ناصر الدين سعيدوني، دار الغرب الإسلامي، تونس، 2007، ص.33.

كالخمور واللحوم المقددة[1]، وقد عرفوا بالخبث في معاملاتهم والتحايل مع الأهالي وبالرغم من ذلك سمح لهم بالغش وممارسة النشاط التجاري[2]، و كانوا يتمركزون في كل من قسنطينة، ووهران والمدية، وبوسعادة، وتلمسان، وهناك بعض العائلات المنتشرة في المناطق الريفية والصحراوية إلا أن الأغلبية كانت تقيم في المدن لأن قوانين البلاد لم تكن تسمح لليهود بإمتلاك الأراضي، فلهذا كان معظمهم يمارسون التجارة والحرف[3]، وفي سنة1805م بعد مقتل مصطفى باشا بدأ نفوذهم السياسي يضعف ولكن بقيت في يدهم التجارة.[4]

والمجموعة الثانية وتظم سكان الأرياف الذين يشكلون الأغلبية الساحقة من السكان تفوق 90 % يسكنون الأرياف وهم كلهم جزائريون منهم: الاجواد والمرابطون وقبائل المخزن وقبائل الرعية[5].

وإضافة إلى التقسيم السكاني نرى أنه من الضروري تسليط الضوء على أهم الأوضاع الاجتماعية في الجزائر والتي يمكن تقسيمها إلى:

- **النظام القضائي:**

لقد كان القضاء أول منصب تقلده المفتي محمد بن العنابي، ونظرا لأهمية القضاء فقد كان متصلاً بالحاكم مباشرة، إذ يعد مصدرا للسلطة السياسية والقضائية[6]، وبما أن الحاكم العثماني كان من المعتنقين للمهذب الحنفي، وسكان الجزائر يتبعون المذهب المالكي، فقد جرت العادة على

(1) عبد الحميد بن أشنهو، **دخول الأتراك العثمانيين إلى الجزائر**، الطباعة الشعبية للجيش، الجزائر، 1972، ص.90 .

(2) رياض بولحبال، **أخبار بلد قسنطينة وحكامها لمؤلف مجهول**(دراسة وتحقيق). مذكرة ماجستير، غير منشورة، في التاريخ وعلم الأثار،(إشراف:إسماعيل سامعي)، جامعة قسنطينة، 2009-2010، ص33.

(3)L. VALENSI, OP. CIT, P.15

(4) علي خلاصي، **القصبة مدينة الجزائر**، ج1، دار الحضارة، الجزائر، 2007، ص33.

(5) أبو القاسم سعد الله، **أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر**، ج4، ط2، دار المغرب الإسلامي، بيروت، 1996، ص.22 .

(6) عمار بوحوش، **التاريخ السياسي للجزائر من البداية ولغاية 1962**، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1997، ص.40 .

تعيين المفتي الحنفي من قبل السلطان العثماني، في حين يقوم حاكم الجزائر بتعيين المفتي المالكي، لذلك كانت هناك محكمة لكل مذهب ومن لا يقبل بحكم المفتي فبإمكانه مراجعة المجلس الكبير الـذي يضم علمـاء المذهبين والمنسوبين إليهما وهم يجتمعون كـل يوم خميس في الجامع الكبير لتدقيق كل الأحكام الصادرة قبيل تلاوتها، ولم يكن القضاة يحصلون على المرتبات، إنما كانوا يستحصلونها من الرسوم والمبالغ المالية عن كل عقد يسجلونه ويضعون عليه ختماً[1]، كما أن هناك محاكم خاصة بالأسرى النصارى ومحاكم خاصة باليهود وفي حالة حدوث خصومة بين النصارى والمسلمين فان الحاكم هو الذي يفصل فيها توخياً لعدم حصول مشاكـل اجتماعيـة داخل المجتمع الجزائـري[2]، أما بشأن الجرائـم الجنائيـة مثل (القتل والسرقـة والخيانـة والتآمر فقد كانـت من اختصاص الحاكم في دار السلطـان أو عاصمـة داي الجزائـر ويقوم رجال الأمن المتكونين من إحدى عشرة (11) شاوشًا بتنفيذ أحكام الإعدام[3] في المسلمين غير الأتراك، وكذلك العبيد والنصارى الموقفين في السجن، أما إعدام اليهود فكان يتم حرقاً، وإذا ما ارتكبت جريمة قتل لأحد الأتراك فان عقوبة القاتل تكون برميه من المرتفعات إلى البحر ، وإذا لم يتم التعرف على القاتل فان سكان الحي يتعرضون إلى العقوبة الجماعية، أما إذا ارتكب احد الأتراك جرماً فيعاقب ويعاقبون سراً في دار آغا الانكشارية حتى لا تهان كرامتهم، أما عن ارتكاب جريمة قطع الطرق أو السطو المسلح، فقد كـان الحكم على الفـاعـل بالصلـب على كلاليـب من حديد، وفي حـالة الزنا يصار إلى

رجم المرأة الزانيـة بالحجـــارة حتـى المـوت حسب الشريعـة الإسلاميـة، وإذا كانـت الـزانيـة مسلمـة

(1) عزيز سامح التر، مرجع سابق، ص.140 .

(2) ابن المفتي حسين بن رجب شاوش، **تقييدات ابن المفتي في تاريخ باشوات الجزائر وعلمائها**، جم و عن. فارس كعوان، بيت الحكمة، الجزائر، 2009، ص ص.81-82 .

(3) وليم سبنسر، **الجزائـر فـي عهد ريـاس البحـر**، تع و تق.عبد القـادر زبـادية، دار القصبـة للنشـر، الجـزائر، 2006، ص.130.

والزاني نصراني أو يهودي فتوضع الزانية في كيس يخاط عليها ثم ترمى في البحر [1].

- **الأوقاف (الحبوس):**

لقد تطورت إدارة الأوقاف في العهد العثماني كنتيجة سياسية واقتصادية، فأصبحت تحترم من طرف الجميع حيث يلتزم باحترامها الواقف والمستفيدون منه، ولكن هذا الاحترام لم يكن دائم حيث قد يسيء الوكيل التصرف في الوقف، وقد تتدخل الدولة فتحول فوائد الوقف إليها، لذلك كان إهمال الأوقاف أو سوء إدارتها محل شكوى من المسملين، ولا سيما علماء الدين[2].

كانت الأوقاف الجزائرية تدار من قبل موظفين يدعون بالوكلاء أو (النظار) تعينهم السلطات العمومية ممثلة في الباشا أو السلطة القضائية ممثلة بالمفتي، وكانت وظيفتهم تشمل إصلاح وصيانة المرفق المحبس ودفع أجور العمال وجمع مداخيل المرافق من إيجار واستغلال[3].

والأوقاف نوعان عامة وخاصة، فالعامة: هي أوقاف بيت المال والطرقات والعيون والأندلسيين والأشراف، أما الخاصة كأوقاف الجامع الكبير والمساجد والزوايا والقباب، وهناك أنواع خاصة بالأوقاف للمؤسسات الدينية منها:[4]

أ – مؤسسة أوقاف الحرمين الشريفين.

ب– مؤسسة أوقاف سبل الأندلس.

ج– مؤسسة سبل الخيرات.

---

(1) محمود إحسان الهندي، **الحوليات الجزائرية تاريخ المؤسسات في الجزائر من العهد العثماني إلى عهد الثورة فالاستقلال**، العربي للإعلان والنشر والطباعة والتوزيع، 1977، دمشق، ص ص.65-66 .

(2) مبارك بن محمد الهلالي الميلي، **تاريخ الجزائر في القديم والحديث**، ج3، مكتبة النهضة الجزائرية الجزائر، 1964، ص.318 .

(3) فارس مسدور وكمال منصوري، **"التجربة الجزائرية في إدارة الأوقاف التاريخ والحاضر والمستقبل". مجلة الأوقاف**، الجزائر، 2003، ص.4 .

(4) راغب السرجاني، **روائع الأوقاف في الحضارة الإسلامية**، القاهرة، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، 2010، ص.150 .

د – مؤسسة أوقاف الأشراف.

وكان هدف بعض هذه الأوقاف إنسانيا يرمي إلى التخفيف من المشاكل التي يعانيها المجتمع الجزائري، والعمل على إسعاد المجتمع، والتخفيف من الجنوح الاجتماعي، كذلك كانت تلك المؤسسات الخيرية مسؤولة عن دفن الفقراء المسملين وتوزيع الصدقات بينهم، إذ تقوم بتوزيع الإعانات بين أكثر من مائتين (200) فقير كل يوم خميس.[1]

- **الأوضاع الصحية:**

كان لقلة إهتمام العثمانيين بالشؤون الصحية لاسيما عدم بناء المستشفيات بقاء الجزائريون يعتمدون على الزوايا[2] التي كانت تأوي العجزة والمرضى وتداويهم، ولم تكن هناك مهنة للأطباء، إنما الذين يقومون بالعلاج هم غالباً يداوون مرضاهم مستخدمين الجن والأرواح، وليس بالعلم، وأما أعمال الجراحة فيقوم بها الحلاقون الذين يستعملون الكي، وكان في مدينة الجزائر مستشفى اسباني خاص بالنصارى، ولم يكن للسلطة العثمانية أي تدخل بمهنة الطب ما عدا تعيين (جراح باشي) من قوات الانكشارية الذي يصحب الجيش في الحملات العسكرية للعناية بالجرحى[3]وجراء الإهمال المتعمد لمهنة الطب، أصاب وباء الطاعون مدينة الجزائر مرات عدة وفي سنوات مختلفة، ولقي عدد كبير من السكان حتفهم في المدن والأرياف، وهلكت الماشية والرعاة بعد أن لاقوا المصير نفسه، وكان المرض ينتقل من السفن التي ترسو في موانئ المدن التي تجلب معها المرض أو من ملامسة الحيوانات، وتطور المرض ليتحول إلى حمى عفنة تظهر بعد ذلك الدبيلات(الدملة)، وتوفي عدد كبير من السكان بعد شرائهم الأمتعة والملابس القديمة التي ينتشر فيها المرض، وقد إنتشرت العديد من الأمراض والأوبئة الخطيرة، منها مرض الطاعون الذي قضى

(1) خديجة بقطاش، **الحركة التبشيرية الفرنسية في الجزائر1830-1871**، الجزائر، 1977، ص.24.

(2) محمود إحسان الهندي، المرجع السابق، ص ص.76-78.

(3) أبو القاسم سعد الله، **محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث (بداية الاحتلال)**، ط3، ش.و.ن.ت، الجزائر، 1982، ص.168.

على ثلثي سكان الجزائر سنة1787م، وفي سنة 1792م ظهر المرض من جديد، بعد وصول فرقة من الجيش المتطوع إلى الجزائر وضرب مدن دلس وعنابة وقسنطينة وتلمسان، حيث قدرت إحصائيات الوفاة بحوالي ثلاثة مئة نسمة يومياً، ودام هذا الوباء حتى 1804م[1]، إضافة إلى حدوث الكوارث الطبيعية ولعل أبرزها: الزلازل وكان أشهرها في سنة 1755م التي عرفته مدينة الجزائر حيث دام شهرين كاملين،[2] كما تعرضت البلاد لمجاعات مهلكة كان أشدها فتكا مجاعة 1798م حيث قال فيها مسلم بن عبد القادر "**مسبغة عظيمة، اهلكت فيها أمم كثيرة حتى أكلوا الميتة والدم ولحوم بعضهم بعضا**"[3].

أما السلطة الحاكمة فقد كانت تستفيد من خبرة الأطباء الأجانب الذين يؤخذون أسرى، وقد استمر ذلك الإهمال حتى سقوط الجزائر بيد فرنسا سنة 1830م[4].

(1) علي خلاصي، المرجع السابق، ص.36.

(2) أحمد الشريف الزهار، **مذكرات نقيب أشراف الجزائر(1754-1830)**،(تق،تح: أحمد توفيق المدني)، ش.و.ن.ت، الجزائر، 1974، ص.18.

(3) مسلم بن عبد القادر الوهراني، **خاتمة أنيس الغريب والمسافر**، تح: رابح بونار، د.ط، سلسلة ذخائر المغرب العربي، ش.و.ن.ت، الجزائر، 1974، ص.130.

(4) لوسات فلنزي، **المغرب العربي قبل احتلال الجزائر1790-1830**، تر.حمادي الساحلي، مطبعة سراس، تونس،1994، ص ص.124-128 .

المبحث الثالث: الحالة الثقافية.

عاش المفتي محمد بن العنابي في فترة من أصعب الفترات على الأمة الإسلامية تحت راية الخلافة العثمانية خصوصا على معظم الدول العربية التي استعمرت من طرف بعض الدول الأوروبية سواء بالقوة والغلبة أو بسبب تفريط الخلافة العثمانية نتيجة لضعفها، كما سمحت الحكومة العثمانية بدخول الامتيازات الأجنبية إلى الأراضي الجزائرية[1]، وقد انعكست هذه الظروف سلبا على الوضع الثقافي حيث قبل الإحتلال الفرنسي للجزائر كان أهم ما ميز الأوضاع الثقافية اصطباغها بمميزات عديدة خصوصا المنشآت الآتية :

أ – دور العلم :

لقد كان إهتمام العلماء متعلقا بأمور الدين حيث إنصب كله على الفقه والتفسير والحديث، ولهذا كانت الثقافة دينية أكثر منها أدبية[2]، وهو ما جعل "د.شو(Dr.Shaw)" يقـول: "**أن الحياة الفكرية مازالت كما كانت منذ وقت طويل في حالة متدهورة، فالفلسفة والرياضيات والطبيعيات والعلوم الطبية التي إشتهر بها العرب قديما أصبحت الآن من العلوم التي لا يعرف عنها شيء**"[3] ويرجع شو (Shaw) سبب ذلك الجمود الفكري إلى النظام الإستبدادي والفوضى السياسية من إنقلابات وثورات وهذا حسب رأيه مناف لإنتشار العلوم والثقافة التي تتطلب الإستقرار السياسي[4].

(1) أحمد إسماعيل راشد، **تاريخ الأقطار المغرب العربي السياسي الحديث والمعاصر(ليبيا-تونس-الجزائر-المغرب-موريتانيا)**، دار النهضة العربية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 2004، ص.137-138 .

(2) صالح فركوس، **"الباي محمد الكبير ودوره في بعث الحركة الثقافية ببايلك الغرب"**، **مجلة الثقافة**، عدد 71، 1982، ص.18.

(3) Dr. SHAW, **Voyage dans la régence d'Alger**, trad de l'Anglais par J.Mac.Carthy, 2ème ed, Bouslama, Tunis, 1980, pp84,85.

(4) Ibid, p86.

والجدير بالذكر أنه لا يجب تحميل العثمانيون مسؤولية ظهور التصوف ولا تدهور الثقافة بالجزائر لكن سياستهم أعانت على الإنحطاط[1]، فهم لم يكونوا حاملي مشروع ثقافي، ولم يشكلوا في نفس الوقت عائقا في وجه استمرار الحياة الثقافية، بل كان بعض الحكام يحترمون العلماء ويوقفون الأوقاف لصالح العلم ومؤسساته فالعلوم الإبتدائية من حفظ القرآن والكتابة ومبادئ الحساب كانت تدرس في نحو ثلاثة ألاف كتاب[2]، لهذا قال بعض الفرنسيين: "بأن الأمية تكاد تكون منعدمة في الجزائر فكل الناس تقريبا يعرفون القراءة رغم عدم عناية العثمانيين بالثقافة كعنايتهم بالحرب"[3].

وقد انتشرت العديد من المدارس الدينية والفقهية في أنحاء الجزائر لتكون مراكز للثقافة العربية متخذة من المسجد والزوايا قاعدة لها، وكان للزوايا دور ثقافي بارز في النشاط الديني والعلمي، حيث ساهمت في تخريج العديد من الطلبة[4]، فضلاً عن دور المساجد التي كانت تدرس العلوم المختلفة، وقد كان للمساجد أنشطة متعددة فهو مكاناً للعبادة ومدرسة للتعليم ودارا للقضاء ومأوى للطلبة وعابري السبيل، أما الكتاب فهو في الأساس حجرة أو حجرتين قد تكون مجاورة للمسجد أو بعيدة عنه أو حتى غرفة في منزل، وهي مخصصة لتعميم القرآن والقراءة والكتابة، والكتاتيب التي تعلم القرآن لا تخلط مع تحفيظه شيئا من العلوم الأخرى وبلغ عددها في الجزائر نحو عشرة (10) آلاف كتاب يضم كل واحد منها ما بين20–30 تلميذاً، وهي منتشرة انتشاراً واسعاً في الجزائر، إذ لا يخلو منها حي من الأحياء في المدن ولا في القرى والأرياف[5]. والحقيقة أن الولاة

(1) أبو القاسم سعد الله، **محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث (بداية الاحتلال)**، ج1، مرجع سابق، ص.185.

(2) أحمد توفيق المدني، **محمد بن عثمان باشا داي الجزائر(1766-1791)**، م.و.ك، الجزائر، 1986، ص.62.

(3) محمد المبارك الميلي، **تاريخ الجزائر القديم و الحديث**، ج3، مكتبة النهضة، الجزائر، 1964، ص.318.

(4) محمد حمد المشهداني، سلوان رشيد، **أوضاع الجزائر خلال الحكم العثماني(1518-1830). مجلة الدراسات التاريخية والحضارية**، مجلد5، العدد16، أوت 2013، جامعة تكريت(العراق)، ص.435.

(5) علي اجقو، **دور الكتاتيب القرآنية الحرة في الحفاظ على القرآن واللغة العربية في الجزائر. مجلة آفاق للثقافة والتراث**، العدد (49)،السنة (13)، نيسان/ابريل 2005، ص ص.21-23 .

العثمانيين لم يهتمو بالجانب الثقافي إلا في مدن محددة استطاعت أن تحافظ على التراث الفكري الذي ورثته ونبغ فيه علماء وشعراء واتسع أفق أبنائها في مجالات أدبية ولغوية وعقلية مختلفة، فكل هذه العوامل جعلت من العلماء والطبقة المثقفة الجزائرية أن تسير قدما وتتصدر حمل لواء نشر التعليم متأثرين بعوامل خارجية أهمها هجرة الأندلسيين الذين طوروا ميدان التعليم من قواعد اللغة والأدب والعلوم والموسيقى، وذلك من خلال احتكاكهم بالأوربيين في عصر النهضة بعد فتح الجامعات في أوروبا، وبقيت اللغة العربية لغة الأكثرية من الجزائريين، مع اتخاذ الدولة اللغة التركية كلغة رسمية، حيث هيمنت على كل الجهاز الإداري والعسكري في البلدان العربية[1]، وقد رافق ذلك المناخ استعمال اللغة الخليط لغة الفرانكا (Lingua Franca)

– تدعىFranco أو سبير[2] Sabir – عند التبادل التجاري مع الدول الأوربية التي تتعامل مع الموانئ الجزائرية، علما بأن هذه اللغات المستعملة بالجزائر كانت العربية والاسبانية والفرنسية والايطالية والألمانية والإنجليزية والهولندية[3]، لذلك ازدهرت الثقافة واشتهر عدد من العلماء في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين[4]، ونستدل من ذلك على أن العثمانيين في الجزائر لم يهتمو بالجانب الثقافي بقدر اهتمامهم بجوانب الحياة الأخرى، وأن مشعل العلم قد تكفل به الجزائريون رغبة منهم في الازدهار الثقافي وللمحافظة على ما توارثوه من علوم ومعارف عبر الأجيال كجزء من التراث العربي الإسلامي، وكان تلامذة العلم يلازمون شيوخهم لشهور أو لسنوات عدة على وفق انقياد تام لتلقي علوم الدين والفقه، ويجرى احتفال كبير بعد كل عملية ختم للقرآن الكريم حين يكمل التلميذ الدراسة ويمنح الإجازة التي تؤهله حق التدريس حيث يصبح طالبا يستطيع قراءة القرآن في

(1) LAUGIER, DE TASSY, **Histoire d'Alger et le bombardement de cette ville en 1816**, S.M.E, Amsterdam, 1825.p.247.

(2) وليام سبنسر، مرجع سابق، ص.102.

(3) أبو العيد دودو، مرجع سابق، ص.12 .

(4) يحيى بوعزيز، **الموجز فـي تاريخ الجزائر**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1965، ص.157.

الجامع ويتولى وظيفة مؤدب أو كاتب[1]، وقد حرص عدد من التلاميذ الجزائريون من ميسوري الحال على التزود بالعلم من مصادر خارجية، فهاجروا إلى مراكش وتونس ومصر والحجاز، وإلتقوا بعلمائها وتحصلوا العلوم على أيديهم، وكانوا ينالون حظوة كبيرة حين عودتهم إلى بلدهم، إذ يقومون بمهمة التدريس ونشر ما حصلوا عليه من معارف جديدة، وغالباً ما يجمعون إلى وظيفة المدرس وظائف أخرى كالقضاء أو الإفتاء[2].

ب -المكتبات

وجد عدد كبير من المكتبات في الجزائر قبل مجيء العثمانيين إليها وقد حافظ عليها أبنائها في أثناء العهد العثماني أيضاً، وكانت الكتب في الجزائر تكتب محليا عن طريق التأليف أو النسخ أو تجلب من الخارج، ولاسيما من بلاد الأندلس ومصر واسطنبول والحجاز[3]، كما جلب الجزائريون المخطوطات من الدولة العثمانية وبلاد المغرب، فضلا عن أن معظم الكتب قد وردت إلى الجزائر عن طريق عدد من العمال العثمانيين في الجزائر، ومن أهم ما جاءوا به كتب الفقه الحنفي، ونسخ من صحيح البخاري، وكتب الأدعية والأذكار التي تصدر عن الطرق الصوفية، وإن اهتمام العمال، كان بسبب التمازج العلمي، ولم تكن للسلطة الحاكمة يد فيه، بل هو عمل إسلامي فردي.

مع سيادة العلوم الدينية في العهد العثماني كان محتوى المكتبات، كتب التفاسير والأحاديث الدينية والفقه والأصول والتوحيد والعلوم اللغوية والعقلية، إذ اشتهرت مدارس العلم (بزواوة) بالأدب والنحو والصرف واللغة والبلاغة والعروض، أما التاريخ والجغرافيا والفلسفة، وكتب الحساب والطب والفلك فكان يغلب على دراستها طابع العصور الوسطى وقلة التجديد والحفظ،

(1) أبو القاسم سعد الله، **محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث (بداية الاحتلال)**، مرجع سابق، ص.165 .

(2) محمد حمد المشهداني، سلوان رشيد ، مرجع السابق، ص.437.

(3) أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج1، دار الغرب الإسلامي، الجزائر، 1998، ص.300.

كما كان الجزائريين المنتجين في هذه التخصصات قلة[1]. كثرت المخطوطات في العهد العثماني، وقد وضعت في مكتباتها التي كانت منقسمة إلى مكتبات عامة وخاصة، وهي تضم مختلف المخطوطات في شتى الفنون، ويلجأ إليها الطلبة والأساتذة من جميع النواحي للمطالعة فيها، فالمكتبات العامة كانت وقفا على المساجد والزوايا والمدارس، فمثلا نجد مكتبة الجامع الأعظم بالعاصمة تضم على الأقل خمس مائة (500) مؤلف مع وصول فرنسا سنة 1830م[2]، بينما كانت المكتبات الخاصة تنتشر في البلاد بين العائلات المشهورة بالعلم والأعيان الذين لديهم اهتمام بالكتب ونسخه كانت المكتبات موزعة بين أنحاء الجزائر، من حيث الثقافة والاعتناء بتدريس العلوم، وحسب أهمية المدن كالجزائر العاصمة وقسنطينة وتلمسان، كان مصير المخطوطات غير آمن، إذ ضاع عدد منها نتيجة الإهمال والنهب والتهريب والحروب التي وقعت بين الجزائريين والعثمانيين أو الحروب التي حصلت مع الأوربيين، وقد سُمحَ للعلماء بأخذ الكتب إلى بيوتهم وبيع بعضها خارج الجزائر، وقد كانت مدينة مازونة منطقة عبور بين شرق الجزائر وغربها، حيث عرفت بمدرستها الفقهية وخزانة كتبها[3].

وما يقال عن المكتبات الأخرى يقال عن المكتبات الريفية، إذ كانت لها أهمية كبيرة كمكتبة ميزاب في بني يزقن، التي حافظ عليها أصحابها كمركز مهم لحركة الكتاب في الجزائر الغربية والجنوبية، وكما هو الحال في المكتبات الموجودة في مدن زواوة وورقلة وبجاية وخنقة سيدي ناجي، وهذا كله يدل على وفرة الكتب في الجزائر حتى في المناطق النائية[4].

(1) أبو القاسم سعد الله، **محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث (بداية الاحتلال)**، مرجع سابق، ص ص.165-166.

(2)Yacono.x, **les bureaux arabes(l'évolution des genres de vie indigenes dans l'ouest du tell Algérois)**, édition de la rose, paris véme , 1954, p.176

(3) بلحاج صديقي، **المكتبات الجزائرية في القطاع الوهراني خلال الفترة 1830م-1954م**. أطروحة ماجستير في تاريخ الجزائر الثقافي والتربوي، معهد التاريخ، جامعة الجزائر، 1989، ص.11.

(4) أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج1، مرجع سابق، ص.302 .

كما أن المواطن الجزائري حافظ على تلك المكتبات لما تشكله من وسيلة لنشر التعليم، وشحن أذهان العلماء والمدرسين، ويبدو أن عدم اهتمام الحكام العثمانيين بالأوضاع الثقافية في الجزائر لم يمنع الجزائريين من استكمال ما بدأوه من العلوم الإسلامية والإنسانية، والاهتمام بالمكتبات وثرائها بالكتب والمخطوطات والحفاظ عليها من التلف بحملها إلى أماكن آمنة، وبالتعاون مع العاملين في الجزائر لرفد المدارس والزوايا والجوامع بتلك الكتب المختلفة، والقيام بنسخها يدوياً للنهوض بالواقع السيئ الذي فرض عليهم، وفي المقابل نجد هناك من نقل كتبه بنفسه كما هو الحال مع شيخنا المفتي محمد بن العنابي الذي حمل معه بعض كتبه لمصر عند نفيه من الجزائر، وهي لا تزال لحد الآن هناك تحمل ختمه وخطه[1].

غير أن الأمر لم يكن مماثلا في مصر التي عاش فيها مفتينا قرابة تسع(09) سنوات قبل الاحتلال ليستقر بها بعد نفيه إليها حتى وفاته– رحمه الله –، فقد كانت مصر تعرف نهضة علمية غير مسبوقة خصوصا بعد تولى محمد علي باشا الحكم بها، حيث ما لبث أن أعلن استقلاله عن الخلافة العثمانية وكون دولة قوية هددت الخلافة نفسها، كما اهتم بالعلم والعلماء في كافة المجالات مما جعل من بلاده محط أنظار طلاب العلم، وكانت تموج بالعلماء والأدباء والشعراء والمفكرين، وامتلأت بالمساجد التي كثرت بها حلقات العلم، وكثرت فيها المكتبات العامة والخاصة، إذ من أجل السير قدما في مشروع دولته الحديثة قام بإنشاء المدارس وأوفد البعثات إلى أوروبا كما إهتم بالترجمة وإقتناء الكتب من أوروبا في مختلف العلوم[2]، مما ساعد على ازدهار الثقافة في هذه البلاد، وقد كان لتشجيعه لمختلف العلوم ورعاية العلماء وتقريبهم والإحسان إليهم والاستماع إلى نصائحهم دور كبير وحاسم في توجيه سياسة الدولة وقضايا الحكم، وهو ما اتضح جليا في

(1) نفس المرجع، ص ص.313-314.

(2) عبد الحكيم عبد الغني قاسم، **تاريخ البعثات العلمية في عهد محمد علي**، مكتبة مدبولي، القاهرة، 2010، ص.335.

النصائح التي أمده بها المفتي بن العنابي والتي جمعها في كتاب: "السعي المحمود في نظم الجنود".

وبالمقابل فإن احتلال فرنسا للدولة الجزائرية انعكس سلبا على كامل الحياة العلمية حيث عمدت فرنسا بمجرد دخولها إلـى طمس الهويـة الوطنيـة، واتبعت سياسة تجهيل الشعب الجزائري، حيث حـولت المساجـد التي كانـت منـارات علميـة إلـى كنائس، إذ تـركـزت وظيفتها الأساسية في أداء الصلوات وتحفيظ القرآن وتعليم مختلف الفروض،وذكر محمد بن عبد الكـريـم في تقديم كتاب"التحفة المرضية في الدولة البكداشيـة في بلاد الجزائـر المحميـة "**أن المساجـد قد كانت مرتعا لحلقات الدروس اليومية، ومحـطـا لفنـون العلم، التـي كانـت تـدرس لـذلـك العهـد، لا سيما في القـرى والمدن، حيث لا الزوايـا تقـوم بدورهـا في بـث مـا أمكنـهـا من العلوم**".[1]

كما أغلقت المدارس، وحاصرت العلماء وضيقت من حركتهم وطردت الشخصيات الإسلامية المؤثرة على الشعب، فعلاوة على تحويل بعض المساجد إلى كنائس كجامع كتشاوة الذي دمر وشوه المسجد وحول إلى كاتدرائية سنة 1845[2] وجـامع علـي بتشين وجامع علـي خوجـة فإن سلطات الاحتلال حكمت بالنفي والإبعاد على أعظم شخصيـة دينيـة إسلاميـة، إذ اتهم الماريشال دي برمون العلامة الشيخ بن العنابي المفتي الحنفي بالعاصمة بمحاولة التمرد والدعوة

إلى الثورة فحكم عليه بالنفي.[3]

(1) محمد بن ميمون الجزائري، **التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية**، تق و تح. محمد بن عبد الكريم، ش. و. ن. ت، الجزائر، 1972، ص.59.

(2) سيدي أحمد بالياني، **الجزائر**، سلسلة الفن والثقافة(وزارة الإعلام والثقافة)، ش.و.ن.ت،الجزائر، 1974، ص.79.

(3) المهدي البوعبدلي، **"الإحتلال الفرنسي للجزائر ومقاومة الشعب في الميدان الروحي"**. **مجلة الأصالة**، العدد الثامن (ربيع الثاني- جمادى الأولى1392)(ماي- جوان1972).

والجدير بالذكر أن الشعب الجزائري مع دخول الاحتلال كان في قمة الثقافة والتعلم حيث صرح دي توكفيل "لقد وضعنا أيدينا في كل مكان على هذه الأملاك (الأوقاف) ثم وجهناها، غير الوجهة التي كانت تستعمل فيها في الماضي، لقد عطلنا المؤسسات الخيرية و تركنا المدارس تموت والندوات العلمية تندثر"[1]، و استنتج دوماس Dumas أن التعليم الإبتدائي كان أكثر انتشارا في الجزائر وأن متوسط عدد الذكور الذين يعرفون القراءة و الكتابة يساوي على الأقل المتوسط الذي أعطته الإحصائيات الولائية في الأرياف الفرنسية و التي تقدر بـ 40% و يقدرهم بحوالي 2000 إلى 3000 تلميذ في كل مقاطعة .

أما الذين يزاولون المتوسطة فحوالي 600 إلى 800 تلميذ يتلقون علوم القانون والدين[2]، وأمام هذا التناقض الصارخ بين سياسة الدولتين تجاه العلم نجد ان المفتي بن العنابي تأثر تأثرا بالغا بهذه السياسات التي جعلت من طاقاته تتفجر وساهمت أيضا في صقل مواهبه.

ومما يؤكد النشاط العلمي والثقافي لذلك العصر، ما زخرت به كتب التراجم والطبقات من أسماء لعلماء وأعلام في فروع العلوم الإسلامية المختلفة، منهم شيوخ المفتي بن العنابي الذين تتلمذ على أيديهم كمفتي المالكية علي بن عبد القادر بن الأمين، والشيخ حمودة بن محمد المقايسي الجزائري والإمام أبو عبد الله محمد صالح الرضوي البخاري، وغيرهم من العلماء والأساتذة في الجزائر ومصر وتونس والحجاز وغيرهم.

ومع كل ذلك فإن المؤكد هو أن الجزائر لحقها ما لحق أغلبية بلاد المسلمين من تأخر علمي، وعدم القدرة على الإبداع، مع إهمالهم للعلوم العقلية كالطب والفيزياء والكيمياء وغيرها، حيث وضعوا جل إهتماهم على الحفظ، وكتابة الشروحات والتعليقات والحواشي.[3]

(1)Alexis de Tocqueville, **Seconde lettre sur l'Algérie,** Ed: Zirem, Bejaia–Algérie, 2006, P.87.

(2) إيفون تيران، **المواجهات الثقافية في الجزائر المستعمرة (المدارس و الممارسات الطبية والدين 1830-1880)**، ت.محمد عبد الكريم أوزغلة، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2007، ص.135.

(3) عبد المنعم الجميعي، مرجع سابق، ص.25.

وهكذا عاش المفتي محمد بن العنابي في غمرة هذه الأحداث السياسية والاجتماعية والثقافية، وكان لكل ذلك أثره المباشر في تكوين شخصية المفتي ونبوغه إذ جعلته يبرز سياسياً وفقهياً وأدبيا.

الفصل الأول

التعريف بالمفتي محمد بن العنابي

المبحث الأول: تسميته وأصله

المبحث الثاني: ولادته وأسرته ونشأته

المبحث الثالث: تكوينه العلمي والتربوي

عرفنا العصر الذي عاش فيه المفتي الجليل محمد بن العنابي، وما سبقه مما يعتبر عصره امتدادا له، من النواحي السياسية والاجتماعية والثقافية، ونأخذ الآن في الكشف عن حياته الحافلة بالنشاط والأحداث من جوانبها المختلفة، من خلال ضبط اسمه ثم أصوله التي يعود إليها، لننتقل بعدها إلى تحديد تاريخ مولده والأسرة التي تربى ونشأ في كنفها، ثم نتناول تكوينه العلمي والديني، وسيكون هذا في ثلاثة (03) مباحث يضم كل مبحث بدوره ثلاثة (03) مطالب على النحو الذي سيأتي ذكره .

المبحث الأول: تسميته وأصله

المطلب الأول: إسمه وكنيته

فاسمـــه:

هو محمد بن محمود بن محمد بن حسين بن محمد بن عيسى الأزميتلي(أو الأزميرلي) الجزائري[1].

أما كنيته:

فهو يكنى بإبن العنابي في أغب الكتب التي تناولت سيرته، وهو مشهور بها عند أغلب المترجمين له، وله كنية ثانية هي(العنابي)[2] بدون ذكر لفظ (إبن)، والعنّابي نسبة إلى مدينة عنّابة وهي مدينة بأقصى الشرق الجزائري، سمّيت بذلك نسبة إلى شجرة العُنّاب الذي هو نبات أحمر حلو لذيذ الطعم على شكل ثمرة النبق ينبت بكثرة في هذه المدينة، وله كنية ثالثة وهي أبو عبد الله[3] وهي قليلة الذكر في معظم المراجع التي تحدثت عن سيرته، ولم يذكر له ولد بهذا الاسم فيما توفر لي من مصادر، إلا أن هذا لا يمنع من أن يكون له ولد بهذا الاسم، علما بأن العرب قديما كانت تكني ولا تشترط وجود الولد، حيث إذا كنوا من لم يكن له ولد فعلى جهة التفاؤل وبناء الأمر على رجاء أن يعيش فيولد له[4].

---

(1) **مجموع فيه إجازات من علامة الجزائر بن العنابي الأثري(1189-1267)**، تح.محمد زياد بن عمر التكلة، لقاء العشر الأواخر بالمسجد الحرام، دار البشائر الإسلامية، بيروت، 1429هـ-2008م، ص.6.

(2) **إجازات حديثية جزائرية**، عن.مصطفى ضيف، ط1، دار التوفيقية، المسيلة، 1433هـ-2012م، ص.69.

(3) نفس المصدر، نفس الصفحة.

(4) شهاب الدين محمد بن أحمد الأبشيهي، **المستطرف في كل فن مستظرف**، ت.محمد خير طعمة الحلبي، دار المعرفة، بيروت، ط 5، 1429هـ/2008، ص.399.

المطلب الثاني: نسبه

ويرجع أصل الأسرة إلى تركيا وبالضبط إلى مدينة أزمير[1]، إلا أن الدكتور أبو القاسم سعد الله يذكر أنها: "وردت على الجزائر من اسطنبول والظاهر أن أصل هذه العائلة من اليونان حاليا بالضبط من مدينة جنينة والظاهر أيضا أنها استقرت بعنابة حيث اكتسبت لقبها كما أننا نجد في تاريخها أنها انتقلت منها إلى مدينة الجزائر حيث مركز السلطة"[2]، إذ انتقل بعض أجداده مع بداية الوجود العثماني إلى الجزائر، ثم نزحت أسرته إلى مدينة عُنّابة فاستوطنتها مدة طويلة فنسبت إليها، ثم استوطن جده حسين بن محمد مدينة الجزائر.

في هذه الأسرة الجزائرية ذات الأصول التركية العريقة في العلم والجاه نشأ مترجمنا حيث كانت تتمتع هذه الأسرة بمنزلة دينية واجتماعية معتبرة، فقد تولى الكثير من أفرادها مناصب دينية وسياسية وفكرية هامة، وتركوا مؤلفات وآثار علمية وفكرية أثروا بها المكتبة الإسلامية التراثية، فقد تولى جده الأكبر حسين بن محمد صاحب "تفسير القرآن" الإفتاء الحنفي أربع مرات[3] والمفتي الحنفي في الجزائر هو شيخ الإسلام وهو منصب لا يفوقه في الاعتبار سوى الداي رئيس الدولة[4]، كما تولى جده الأدنى (محمد بن حسين) قضاء الحنفية بالجزائر، أما والده محمود فقد كان من علماء وأعيان الحنفية أشتهر بالعلم والتقوى، وحظي بالتقدير الكبير من طرف العلماء والحكام العثمانيين، وكذلك أشتهر أخوه لأمّه الشيخ مصطفى العنّابي بالعلم

(1) إجازات حديثية جزائرية، مصدر سابق، ص.69.

(2) أبو القاسم سعد الله، **رائد التجديد الإسلامي محمد بن العنابي**، ط2، دار الغرب الإسلامي،2005، (ها)ص.7/أنظر أيضا:

أبو القاسم سعد الله، **تجارب في الأدب والرحلة**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1983، ص.94/ينظر كذلك:احميده عميراوي، **قضايا مختصرة في تاريخ الجزائر الحديث**، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، عين مليلة، 1426-2005، ص.58.

(3) عادل نويهض، **معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر**، ط2، مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، بيروت، 1400هـ-1980م، ص.244.

(4) أبو القاسم سعد الله، رائد التجديد الإسلامي محمد بن العنابي، مرجع سابق، ص.23.

والفقـه والذي قال في حقه: الشَّيخ محمد الطيب بن محمد بن الإمام عبد القادر الفاسي الذي زار الجزائر في مهمَّة سنة 1103 "**ولما دخلت مدينة (الجزائر) كان مما أتحفني الله بلقائه من أعلامها، الفقيه النَّبيه...مصطفى بن رمضان الحنفي، الشهير بالعنابي فتذاكرت معه في فتوى علمية واستفدت منه فوائد سنية، وذكرت له زوائد ودررا علقت بذهني مما سمعته من جهابذ علومهم مرضية، فحمله حسن نيَّته وخلوص طويَّته أن استدعى منِّي إجازة في ذلك وغيره إلخ**..."، وقد أجازه بالفعل[1].

المطلب الثالث: لقبه

لُقب المفتي محمد بن العنابي بـ(الأثري)، حيث أشتهر عنه عنايته الكبيرة لقراءة القرآن الكريم وتجويده، وكذلك الاهتمام والشغف بالحديث الشريف رواية ودراية، فكان يقرأ الصحيحين حيث سمعهما عنه الكثير من تلاميذه، كما قرأ أطراف الكتب الستة، وهذا شيء نادر في عصر قل فيه الاهتمام بكتب الحديث الشريف وكثر الدجل والشعوذة وسيطرت الأفكار الجامدة ولذلك وصف بالعالم الأثري، وممن أطلق عليه هذه الصفة (الأثري) الشيخان عبد الرحمن بن حسن آل شيخ وإبراهيم السقّا، حيث وصفه بها الأول حين قال عنه: "**لقيت بمصر مفتي الجزائر محمد بن محمود الجزائري الحنفي الأثري فوجدته حسن العقيدة طويل الباع في العلوم الشرعية**"[2]، في حين وصفه بها الثاني في قوله: "**كشاف الحقائق، ومنبع الرقائق والدقائق، شيخنا المحفوف باللطف الخفي، محمد بن محمود بن محمد الجزائري الأثري**"[3].

(1) أحمد بن محمد بن علي بن سحنون الراشدي، **الثغر الجماني في إبتسام الثغر الوهراني**، تح و تق.المهدي البوعبدلي، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013، ص.79.

(2) عبد الرحمن بن عبد اللطيف بن عبد الله آل الشيخ، **مشاهير علماء نجد وغيرهم**، **مشاهير علماء نجد وغيرهم**، ط2، دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، السعودية، 1394هـ، ص.90.

(3) أبو القاسم سعد الله، **رائد التجديد الإسلامي محمد بن العنابي**، مرجع سابق، ص.48.

والحقيقة أنهما قد أصابا حين أطلقا عليه هذه الصفة كونه إهتم بالتأليف والتقييد في الحديث الشريف، ويدل على ذلك انتخابه كتاباً من أحاديث صحيح ابن حبان، وآخر من زوائد سنن البيهقي، وهي كتب متخصّصة قلّ من اعتنى بها في وقته، وله كتاب آخر انتقى فيه من الصحاح والكتب الستة، وهذه جهود نادرة في وقت كان فيه علم الحديث غريباً، ثم إن من إطلع على كتابه "السعي المحمود في نظام الجنود" يجد معظمه استدلال بالقرآن الكريم والحديث الشريف.

المبحث الثاني: ولادته وأسرته ونشأته

المطلب الأول : ولادته

أ/الزمان: لم يختلف المترجمون في تحديد تاريخ وزمن ولادة المفتي محمد بن العنابي، والسر في ذلك يكمن في أنه ذكر زمان ولادته بنفسه، حاسما هذا الأمر عندما ذكر أن تاريخ مولده كان في سنة 1189هـ/1775م (أنظر الملحق رقم:01)، حيث ذكر ذلك عند إجازته للشيخ بيرم الرابع[1]، إلا أنه رغم حسم المفتي لأي خلاف يحتمل لزمن ولادته، فهذا لم يمنع المترجم "عبد الحميد بيك" من الذهاب إلى أنه ولد سنة 1189هـ/1776م[2].

ب/المكـان: أما فيما يخص تحديد المكان الذي ولد فيه فقد تباينت الآراء حول ذلك، إذ نجد هناك من رأى أنه قد ولد بمدينة الجزائر[3]، في حين هناك من رأى انه ولد بمدينة عنابة[4]، ونحن في هذا المقام نوافق الرأي الذي قال بأن مولده كان بمدينة الجزائر وذلك باعتبار أن أسرته قبل تاريخ مولده بسنوات كانت قد استقرت بمدينة الجزائر وكان أول من استوطن مدينة الجزائر جده حسين بن محمد، وقد تقلد بعض أفراد أسرته عدة مناصب سامية بالدولة وذاع صيتها هناك، الشيء الذي جعل من المفتي محمد بن العنابي معروفا لدى السلطة الجزائرية خصوصا بعد إلمامه بمختلف العلوم العقلية والنقلية مما أهله لتقلد القضاء في سن جد مبكرة.

---

(1) عبد الحميد بيك، **أعيان من المشارقة والمغاربة(تاريخ عبد الحميد بيك)**، تق.تع:أبو القاسم سعد الله، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2000، ص.187.

(2) أبو القاسم سعد الله، **رائد التجديد الإسلامي محمد بن العنابي**، مرجع سابق، ص.119.

(3) مسعود كواتي ومحمد الشريف سيدي موسى، **أعلام مدينة الجزائر ومتيجة**، دار الحضارة، الجزائر، 2007، ص.11/ ينظر: عادل نويهض، مرجع سابق، ص.245.

(4) عمر بن قينة، **الرؤية الفكرية في الحاكم والرعية لدى(ابن المقفع وابن العنابي والكواكبي)**، ط1، دار أسامة للنشر والتوزيع، عمان–الأردن، 2000م، ص.50.

المطلب الثاني : أسرته

من المعلوم والمقرر أن البيئة المحيطة بالإنسان من أكبر العوامل المؤثرة في تكوين شخصيته، فنجاحاته وإخفاقاته مرتبطة ببيئته، ولهذا يعرف الإنسان بابن بيئتـه، وقد كانت أسرة المفتي محمد بن العنابي لها السبق في علم الفتوى والقضاء كابرا عن كابر، فكانت من أكثرَ أصحاب البيوت العلمية بالجزائر، حيث تقلد المفتي محمد بن العنابي وجده الأكبر وجده الأصغر وأبناؤهم، وأحفادهم مناصب التدريس والقضاء، والخطابة وإمامة الجامع الجديد أكثر من قرن من الزمن عن جدارة واستحقاق (أنظر الملحق رقم:02)، وهم أهل علم وتقوى إذ لم يمن عليهم أحد هذه المناصب والوظائف ولم يتحصلو عليها عن طريق المحاباة أو الرشوة أو التقرب من الحكام وما الموقف الذي وقفة مفتينا الشيخ محمد بن العنابي لما عرض عليه الداي حين كان قاضيا أن يقضي بأمر مخالف للشرع فقام بعزل نفسه من منصب القضاء حتى لا يقع في ما لا يرضي الله بالرغم من أنه كان شابا لم يتجاوز العشرين(20) سنة، ونحن نستغرب كيف ذهب البعض إلى أن "**سبب قدوم عائلة بن العنابي للجزائر من اسطنبول بغرض الاستقرار والحصول على الوظائف**"[1]، وعليه فإن ما ذهب إليه الكثير من المؤرخين في أن أسرته توارثت المناصب الفقهية في الجزائر العثمانية[2] ليس صحيحا، فلو كان حقيقة متوارثا لبقيت سلسلة التعيينات متصلة ولما وقع فيها إنقطاع، زيادة على إنهاء مهام البعض ثم تعيينهم من جديد، بالإضافة إلى كل من تم تعيينهم كانوا من العلماء وأهل إختصاص، مما

(1) محمد بوشنافي، "**علماء المذهب الحنفي في الجزائر خلال العهد العثماني(10-13هـ/16-19م)**". **مجلة عصور الجديدة**، مختبر البحث التاريخي تاريخ الجزائر(جامعة وهران)، العدد16-17، شتاء-ربيع(أبريل)1436هـ/2014-2015 م، ص.227.

(2) أبو القاسم سعد الله، **رائد التجديد الإسلامي محمد بن العنابي**، مرجع سابق، ص.27.

يدل على أن هذه الرتب والوظائف لم ينالوها حظوة أو محاباة فقد كانوا أهلا لها وتقلدوها عن جدارة واستحقاق.

المطلب الثالث: طفولته

كل من قام بالبحث في سيرة المفتي بن العنابي يصل إلى نتيجة مفادها النقص الواضح في المعلومات المتعلقة بسيرته في طور صباه، ولا يختلف إثنان على أن تلك الفترة مهمة للتوصل إلى ربط الأسباب بمسبباتها والنتائج بمقدماتها، فالبحث المعرفي غالبا ما يتعلق ببعض الحيثيات التي عاشها الفرد في أول حياته وصباه فأثرت عليه، ويذكر العلامة أبو القاسم سعد الله "**إن آثار ابن العنابي ما زالت لم تدرس ولم تعرف كلها**"(1)، كما ذكر أيضا عندما تحدث عن أحد فترات حياته قائلا " **والمهم هو أن هذه الفترة من حياته ما تزال غامضة**"(2).

والسبب في ذلك قد يعود ربما إلى أمور منها:

1. طبيعة الفترة التي عاشها المفتي بن العنابي، حيث عرف عنها عموما ضعف الاهتمام بالعلم وطلبته وتبجيلهم وعدم توقير العلماء.
2. ندرة وسائل الإعلام المكتوبة التي تسلط الضوء على سير العلماء، كما هو الحال في الوقت الراهن.
3. تواضع العلماء، فقلما تجد عالما في تلك الفترة كتب ترجمته بنفسه، ظنا منهم أنهم ليسوا أهلا لذلك، كما هو الحال مع شيخنا بن العنابي.

غير أن ما استنبطناه من خلال ما كتب عنه يجعلنا نستنتج أنه نشأ في بيت علم ودين، فقد كان أول من درسه أبوه محمود بن محمد الذي كان من طبقة العلماء، كما درسه

(1) أبو القاسم سعد الله، **رائد التجديد الإسلامي محمد بن العنابي**، مرجع سابق، ص.16.
(2) نفس المرجع، ص.36.

جده محمد بن حسين الذي كان يشغل منصب قاضي الحنفية بالجزائر، وإذا كان تاريخ وفاة جده معلوم

لدينا فهو سنة 1203هـ[1]، فهذا إن دل على شيء فإنما يدل على أنه تلقى التدريس على يدي جده في سن ثلاثة عشر(13) سنة فأقل، كما درس في مرحلة صباه على نخبة من علماء عصره من الجزائريين الذين اشتهروا في النصف الأخير من القرن الثاني عشر الهجري (18م)[2] فضلا عما كانت عليه الجزائر في تلك الفترة كمركز إشعاعي وحضاري لا يقل أهمية عن باقي مراكز العالم الإسلامي الحضارية، لما يزخر به من مكتبات ومدارس لتحفيظ القرآن وتعليم مختلف العلوم، ناهيك عن وجود كبار الشيوخ والفقهاء الذين سخروا أنفسهم خدمة للعلم متخذين من التعليم والتدريس مهنة لهم.

وبهذا يكون مفتينا قد تفتحت عيناه على بيئة مشجعة لطلب العلم والتبحر فيه، وأسرة علم وفرت له الظروف المواتية لينشأ نشأة إسلامية صحيحة، جعلت منه عالما من علماء العالم الإسلامي الكبار.

(1) أبو القاسم سعد الله، **رائد التجديد الإسلامي محمد بن العنابي**، مرجع سابق، ص.28.

(2) نفس المرجع، ص ص.31-32.

المبحث الثالث : تكوينه العلمي والتربوي

المطلب الأول: نشأته العلمية

نشأ المفتي بن العنابي في بلده الجزائر في كنف أسرة كانت حريصة على تعليم أولادها، إذ كانت مدينة الجزائر في عهده إحدى العواصم الفكرية المشهورة، فكانت الأولى بإمتياز على مستوى الدولة الجزائرية، مما دفع بقوافل طلبة العلم التوجه إليها، حيث يقول عبد الرحمان الجامحي عن مدينة الجزائر: "**فهي بحمد الله إلى الآن دار الجوهر الفرد في الأدب، وعلم العقل، وتنبت العلماء والصالحين كما تنبت السماء البقل ...هذه المدينة لا تخلو من قراء نجباء وعلماء أدباء، وأعلام خطباء، مساجدهم بالتدريس معمورة، ومكاتب أطفالهم بالقراءة مشحونة ومشهورة** "[1]، وقد كانت مدينة الجزائر أيضا مقصدا للطلبة سواء من داخل أو خارج الجزائر، فبالرغم من أنها تفتقر إلى معهد رئيسي يضاهي القرويين والأزهر والزيتونة[2] الذين كان تأثيرهم واضحا على حواضر الجزائر، و مثقفيها سواء عن طريق الإحتكاك بخريجي هذه المعاهد خلال رحلات الحج أو عن طريق البعثات العلمية فيعتبر العلامة أبو القاسم سعد الله أن دروسها كانت تضاهي بل تفوق أحيانا مساجد المشرق[3]، فأول ما تعلمه من تعليم كان على يد والده الشيخ محمود إذ تلقى عنه مبادئ العربية، وقرأ وحفظ على يديه القرآن الكريم، كما تلقى عنه الفقه الحنفي، وقد تلقى عنه أيضاً صحيحَ البخاري قراءة

(1) عبد القادر نور الدين، **صفحات في تاريخ مدينة الجزائر**، مطبعة البعث، قسنطينة، 1965، ص ص 198-199.

(2) إبن سحنون الراشدي، مصدر سابق، ص.64.

(3) سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج 1، مرجع سابق، ص.273.

وسماعاً لجميعه، وأجازه، ومختلِفَ العلوم الدينية والدنيوية المتداولة في عصره، وقد كان محظوظا حيث أدرك المترجم جدّه محمداً الذي قرأ عليه القرآن الكريم وأخذ عنه تفسير والده حسين شيخ الإسلام وبعض الفقه الحنفي، والحديث الشريف حيث سمع عليه قطعة من صحيح البخاري[1].

كما تعلم على يدي المفتي المالكي علي بن عبد القادر بن الأمين مفتي المالكية بالجزائر حيث أخذ عنه الفقه المالكي والحديث الشريف، كما أجازه في الكتب الستة وموطأ الإمام مالك، وكتب القاضي عياض وتلقى عنه بعض المسلسلات، ومن شيوخه أيضا حمودة بن محمد المقايسي الجزائري، والإمام أبو عبد الله محمد صالح الرضوي البخاري الذي أجاز ابن العنابي بالصحيحين والكتب الستة والموطأ وفقه الحنفية وبعض المسلسلات ودلائل الخيرات، كما أجازه في القراءات العالم احمد بن الكاهية الحنفي، وغيرهم من العلماء والأساتذة في الجزائر ومصر وتونس والحجاز.

وإلى جانب العلوم الشرعية الدينية التي تلقاها ودرسها على العلماء، عرف عن ابن العنابي حبه وشغفه بالمطالعة والقراءة، فكان يطالع في مكتبة الأسرة ويشتري ما يصل إلى الجزائر من كتب ونشريات، فطالع كتب التوحيد والتاريخ والأدب والسياسة، وقد كانت له مكتبة ضخمة ورثها عن آبائه وأضاف إليها مقتنياته، إلا أنها أصيبت بتلف أثناء إجباره على مغادرة الجزائر سنة 1830م بعد الاحتلال مباشرة، وما بقى منها تلف بعد موته[2]، تاركا وراءه مجموعة من الكتب في الفقه، اللغة، الأدب، التراجم والسياسة، هي مؤشر قوي على رجل ثقافة وفكر متميز[3]، متفتحا واعيا لمشاكل عصره، متفاعلا مع التحولات الكبرى التي عرفتها

(1) أبو القاسم، سعد الله. **رائد التجديد الإسلامي محمد بن العنابي**. مرجع سابق، ص.29.

(2) نفس المرجع، ص.32.

(3) عمر بن قينة، مرجع سابق، ص.51.

المجتمعات وبالخصوص الدول الإسلامية والأوروبية، دارسا بتبصر وبصيرة الاضطرابات السياسية والاجتماعية .

المطلب الثاني: شيوخه

تتلمذ المفتي الجزائري محمد بن العنابي على يد كثير من العلماء من أهل وطنه الجزائر وخارجه، ومن الأوائل الذين تلقى عنهم مترجمنا العلم :

- محمد بن حسين العنابي: (ت1203هـ/1789م) هو جده لأبيه وقد أدركه المترجم حيث قرأ على يديه القرآن الكريم ، وأخذ عنه تفسير والده حسين" شيخ الإسلام" المتوفى سنة 1150هـ/1737 [1]، كما أخذ عنه بعض الفقه الحنفي والحديث الشريف، كما سمع منه قطعة من صحيح البخاري، وحصل على إجازته.
- محمود بن محمد العنابي: (ت 1236هـ/1821م) هو أبوه، حيث قرأ وحفظ على يديه القرآن الكريم كاملا، كما علمه مبادئ اللغة العربية، إضافة إلى أنه تلقى عنه الفقه الحنفي، ومختلِفَ العلوم الدينية والدنيوية المتداولة في عصره، زيادة على أنه تلقى عنه أيضاً صحيحَ البخاري قراءة وسماعاً لجميعه، ثم أجازه[2].

ومن أشهر شيوخه:

- الشيخ أبو الحسن علي بن عبد القادر بن الأمين: (ت1236هـ/1821م)، هو علي بن عبد القادر بن عبد الرحمان بن علي بن علي بن علي بن الأمين، علوي النسب، أندلسي

(1) عادل نويهض، مرجع سابق، ص.244.

(2) محمد بن رزق بن طرهوني، **التفسير والمفسرون في غرب إفريقيا**، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، 1426، ص208.

الأصل، جزائري الدار، مفتي المالكية بالجزائر[1]، العالم العلامة درس بالأزهر الشريف وأخذ عن علمائه وشيوخه، المؤلف المشارك، المتفنن الفاضل "درس عليه مترجمنا وأخذ عنه الفقه المالكي والحديث الشريف "... فقرأ عليه صحيح البخاري سماعا لبعضه وأجازة بسائر مروياته عن شيخه أبي الحسن علي بن العربي السقاط المغربي عن شيخه محمد بن عبد الرحمن الفاسي صاحب "المنح البادية في الأسانيد العالية"، كما أجازه في الكتب الستة وموطأ الأمام مالك ، وكتب القاضي عياض وتلقى عنه بعض المسلسلات، وقد كان الشيخ على بن الأمين من أبرز مفتيي الجزائر أواخر العهد العثماني، وقد توفي سنة 1236هـ، وكثيرا ما ذكره بن العنابي وذكر إجازته له[2].

- حمودة بن محمد المقايسي الجزائري: (ت1245هـ/1830م) هو حمودة بن محمد بن حمودة بن عيسى الجزائري المعروف "بالمقايسي" نسبته إلى صناعة الأساور المعروفة في الجزائر بـ«المْقَايَسْ، جمع ومفردها مَقْيَاسْ باللهجة الجزائرية»، ويعد من كبار فقهاء مدينة الجزائر وفقهائها قد درس على علماء الجزائر ثم اتجه إلى مصر حيث انتسب إلى الأزهر الشريف وتتلمذ على علمائه وشيوخه، وأجازوه بمروياتهم وكتبهم ومنهم مرتضي الزبيدي ومحمد الأمير الصغير وحسن العطار ومحمد الدسوقي وحجازي بن عبد المطلب العدوي، كما أذنوا له بالتدريس هناك، ثم انتقل إلى تونس إلا أن مقامه لم يطل بها، فعاد إلى بلاده الجزائر واشتغل بالتدريس ونشر العلم والمعرفة، وكان يعيش من صناعة المقايس التي كانت مصدر رزقه، وقد مات –رحمه الله– في الجزائر سنة(1245هـ/1830م)[3]، وقد حلاه مرتضي الزبيدي في إجازته بـ: "الشيخ الصالح

(1) عبد الحي بن عبد الكبير الكتاني، **فهرس الفهارس والأثبات (ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات)**، ج2، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1402هـ–1982م، ص.ص.784–785.

(2) سعد الله أبو القاسم، **رائد التجديد الإسلامي محمد بن العنابي**، مرجع سابق، (ها)ص.7.

(3) أبي القاسم محمد الحفناوي، **تعريف الخلف برجال السلف**، مطبعة بيير فونتانه، الجزائر، 1324هـ–1907م، ص ص.140–146.

الوجيه الورع الفاضل المفيد السيد الجليل والماجد النبيل"[1] وقد جمع المقايسي أسانيده في ثبت خاص يرويه عنه تلميذه ابن العنابي، كما له حواشي وتعليقات على كتب الفقه وغيرها[2].

- الإمام أبو عبد الله محمد صالح الرضوي البخاري (ت1263هـ/1847): هو"**الإمام العارف المحدث المسند، الطبيب الماهر الرحال الجوال أبو عبد الله محمد صالح، الرضوي نسبا السمرقندي أصلا ومولدا، البخاري طلبا للعلم...، ثم المدني مسكنا ومدفنا**"[3]، ومن سمرقند دخل بخارى والهند واليمن والحجاز وتونس والجزائر ومصر والمغرب الأقصى، وأخذ عنه عددا هائلا من التلاميذ وأقبلوا عليه إقبالا عظيما ومنقطع النظير حيث أخذ عنه في كل بلد ومصر أعيانه وكباره، ثم سكن المدينة المنورة وتوفي بها، وقد أجاز المفتي بن العنابي بالصحيحين والكتب الستة والموطأ وفقه الحنفية وبعض المسلسلات ودلائل الخيرات، له مؤلفات أكثرها في التصوف وعلوم الأسرار والإسناد والمسلسلات[4].

كما أجازه في القراءات العالم احمد بن الكاهية الحنفي، إضافة إلى أخذه عن الشيخ محمد جكيكن (بمعنى الصغير)[5]، وغيرهما من العلماء والمشايخ في الجزائر ومصر وتونس والحجاز.

(1) عبد الحي بن عبد الكبير الكتاني، مرجع سابق، ص.345.
(2) عادل نويهض، مرجع سابق، ص.309.
(3) عبد الحي بن عبد الكبير الكتاني، مرجع سابق، ص.431.
(4) نفس المرجع ، ص ص.431-432.
(5) مجموع فيه إجازات من علامة الجزائر بن العنابي الأثري، مصدر سابق، ص.7.

إلى جانب العلوم الشرعية الدينية التي تلقاها ودرسها على العلماء الذين ذكرنا بعضهم، عرف عن المفتي بن العنابي حبه وشغفه بالمطالعة والقراءة، فكان يطالع في مكتبة الأسرة ويشتري ما يصل إلى الجزائر من كتب ونشريات، فطالع كتب التوحيد والتاريخ والأدب والسياسة مما أكسبه ثقافة واسعة جعلت منه ملما على مشاكل العصر ويدرس بتبصر الاضطرابات السياسية والاجتماعية ويواكب التحولات الكبرى التي عرفتها المجتمعات والدول الإسلامية والأوروبية، ويتفاعل معها، فكل هذه العوامل الشخصية والأسرية زادت في عمق وتوسيع شخصيته، كما أهلته أن يتبوأ مناصب رسمية في وطنه الجزائر وخارجه ويتولى المهمات الصعبة في الأوقات الحرجة[1].

المطلب الثالث : مذهبه الفقهي

إن المترجَم عالمٌ في المذهب الحنفي[2]، وقد ألف فيه، وقد إتخد منه مذهبا له شأنه شأن جل الأتراك[3]، وكان مفتياً أكثر عمره، ولكن يظهر من النقول القليلة التي وصلت إلينا عنه أنه لم يكن متعصباً للمذهب ولا جامداً على نصوصه، فاستدلاله بالحديث والأثر كثير، ولا سيما في كتابه "السعي المحمود في نظام الجنود"، وهو ينص على عبارات تفيد الترجيح عنده، وهو يناقش الأقوال الفقهية، بل إنه نص في فتاويه أن إلتزام مذهب معين ليس لازماً ولا واجباً، وهو يقول: (إن الواجب على العاميّ تقليدُ عالمٍ لا بعينه، كما يُفيده قوله

(1) أبو القاسم، سعد الله. رائد التجديد الإسلامي محمد بن العنابي. مرجع سابق، ص.33.

(2) المذهب الحنفي ينسب إلى إمامه أبي حنيفة النعمان بن ثابت فارسي الأصل ويسمى الإمام الأعظم، ولد بالكوفة سنة 8هـ/699م، وكان إمام العراقيين فقد خرج على الناس بمذهب جديد فيه حرية للعقل بكثرة استعمال الراي والقياس لحل كثير من المشاكل، وتوفي سنة150هـ/767م/ينظر: محمود مصطفى، **الأدب العربي في مصر من الفتح الإسلامي إلى نهاية العصر الأيوبي**، دار الكتاب العربي، القاهرة، 1967، ص.96.

(3) إجازات حديثية جزائرية، مصدر سابق، ص.70.

تعالــى: {فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ}[1]، فمتى فعل ذلك فقد أتى بواجبٍ عليه، فصار خارجاً من العهدة).

وقد ألَّف كتاباً في الراجح من المذاهب المتبوعة، وقد اعتُمد على هذا الكتاب في القضاء مدة، وقد وقف ضده الجامدون أصحاب المصالح الشخصية كما سنراه لاحقا.

والجدير بالذكر أنه بالرغم من أن الجزائر العثمانية عرفت مذهبين في الفقه الإسلامي هما المذهب الحنفي والمذهب المالكي فهذا لم يمنع من التعايش بينهما، بل نجد معظم سكان الجزائر المالكيـة وضعوا وقفهم حسب المذهب الحنفي نظرا لما يتيحـه هذا المذهب من مرونـة وديناميكية[2]، وقد شجع إجماع العلماء على الاقتناء حسب المذهب الحنفي على تطور الوقف وهذا ما أشار إليه حمدان خوجة بقوله "**اجمع العلماء على أن يطبق المذهب الحنفي على كل الهبات المشروطة، وذلك لرفع الموارد الخاصة بالطبقة المعوزة**"[3]

(1) سورة النحل، الآية 43.

(2) نمير عقيل، "**حول أوقاف مدينـة الجزائر فـي القرن الثامن عشر (أوقـاف مؤسسـة سبل الخيرات من خـلال المسـاجد الحنفية)**"، **مجلة دراسات إنسانية**، عدد خاص، الجزائر، 2002/2001، ص.121.

(3) حمدان بن عثمان خوجة، **المرآة**، تق و تع و تح. الزبيري العربي، ط 2، ش.و.ن.ت، الجزائر، 1982، ص.238.

الفصل الثاني

جهوده الإصلاحية وعطاءاته العلمية.

المبحث الأول: جهوده الإصلاحية.

المبحث الثاني: مناصبه وعطاءاته العلمي.

المبحث الثالث: أهم مؤلفاته ورأيه حول المرأة وبعض أشعاره.

بعد أن أعطينا تعريفا عن حياة وشخصية المفتي الجزائري محمد بن العنابي، كان لزاما علينا أن نقف على مختلف جهوده الإصلاحية وأهم إنجازاته وكذا مجمل الوظائف التي تقلدها سواء ببلاده الجزائر أو في منفاه بمصر، ولإبراز ذلك قسمنا هذا الفصل إلى ثلاثة (03) مباحث شمل كل مبحث بدوره ثلاثة (03) مطالب، ستتم معالجتها على النحو الذي سيأتي ذكره .

المبحث الأول: جهوده الإصلاحية

المطلب الأول: جهوده في مجال الإصلاح السياسي

لقد بدأ تأثير حضارة الغرب على البلاد الإسلامية منذ أواخر القرن18م لتبرز أكثر خلال القرن 19م لتنقسم بشأنها نخب العالم الإسلامي بين داع إلى الانصهار فيها كليا، وبين مناد للأخذ بإنجازاتها الإيجابية مع المحافظة على قيم الأمة وأصالتها، وكان من البديهي أن يتموقع مترجمنا مع التيار الثاني، وفي الوقت نفسه يحارب على جبهتين، أصحاب التيار الأول الذي دعا إلى التجرد من قيمه وأصالته، وتيار آخر يرى أنه لا يجوز الأخذ عن حضارة الغرب مهما كان تطورها ومهما بلغت إنجازاتها لكونها حضارة بلاد كافرة، وكل ما يأتي منها فهو كفر صريح، لذا كان لزاما على المفتي بن العنابي أن يكون حجة في الإقناع حتى تجد أفكاره من يقتنع بها ويجسدها على أرض الواقع، خصوصا إذا علمنا أنه يتمتع بقدرة فائقة على التأويل والتخريج والتعليل، كما يمتاز بالتعمق في العلم والقوة في التحرير والنظر، وأنه عالم المنقول والمعقول[1] .

ويعد الشيخ محمد ابن العنابي نموذجا للمثقف الملتزم بهموم أمته، والمشارك في حركة التجديد، حيث كرس قلمه لنقد الأوضاع السائدة في الجزائر والعالم الإسلامي، ورسم معالم الطريق للنهضة، وصبر على المعوقات في سبيل ذلك، وخلافا لكثير من العلماء الذين سبقوه وعاصروه، اعتبر ابن العنابي أن الخلل ليس في الأمة فقط، ولكن في السلطة كذلك، لإرساء حكم راشد قائم على ثلاثة مبادئ، وهي أولا الليونة والتسامح والتعامل مع الآخر بالإحسان، أما ثانيا الشورى وعدم الاستبداد بالرأي والانفراد بالحكم والقرار، وأخيرا الكفاءة وعدم إسناد الأمر لغير أهله، وبهذا

(1) فريد حاجي، **محمد بن محمود ابن العنابي وموقفه من حضارة الغرب في القرن19م.** **مجلة الدراسات التاريخية** (قسم التاريخ كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية)، جامعة الجزائر2، ع 15و16، 1433-1434هـ/2012-2013 م، ص ص365-366.

يكون الشيخ ابن العنابي قد سبق رواد الإصلاح السياسي في العالم الإسلامي المعاصر وعلى رأسهم رفاعة رافع الطهطاوي[1] وجمال الدين الأفغاني وخير الدين التونسي وعبد الرحمان الكواكبي.

وكان له رأي أيضا في الديمقراطية السياسية وتوزيع الثروة واختيار الأكفأ في الإدارة.[2]

ولقد رفض بعض العلماء التسليم حتى للعقل الإسلامي "المرتبط بالدين" بأن يكون مصدرا للمعرفة ولا أن يكون وسيلة للتنمية، وهم الذين أغلقوا بابً الاجتهاد وأصبحوا خصومه بيد أنه تصدى لهؤلاء بعض أبناء المغاربة المجددين أمثال محمد بن محمود ابن العنابي الجزائري، ولو كان ذلك ضمن دائرة الماضي وإشكالياته التاريخية ،لأن ابن العنابي لم يعترف سوى بالحقيقة العقلية "جودة الرأي" التي يتضمنها القول الديني نفسه (الكتاب والسنة)، وهي عنده حقيقة متكاملة[3]، أما العقل غيرَ الإسلامي "المسيحي"، فهو في نظره غير ناضج، ولا يمكن أن يحوز الصواب ما دام يقر بالشرك[4] لذلك رفض المفتي ابن العنابي وبلغة صريحة الفكر الغربي ومختلف النظم السياسية والدستورية للحكم التي وضعها الأوروبيون، وذلك بالرغم من أنه كان بعض ما أظهره هؤلاء ووضعوه لا يتعارض مع الإسلام[5]، بل أوضح ابن العنابي أن المفاهيم السياسية الغربية الجديدة ليست غريبة عن الإسلام كالمساواة، الحرية والأخوة، وهذه كلها من صميم مقاصد الشريعة، وليس للغرب من فضل في هذا سوى أنه قننها ونظمها، ووضع لها الأطر

(1) مولود عويمر، "**النخبة الإصلاحية الجزائرية وسؤال التنوير في القرن 19 م وبدايات القرن 20**". **جمعية العلماء المسلمين الجزائريين**.(على الخط المباشر).تمت الزيارة يوم:2018/02/26، متاح على الأنترنت على الرابط الآتي: النخبة-الإصلاحية-الجزائرية-وسؤال- الت/http://www.oulamadz.org/2015/07/08/

(2) سعد الله أبو القاسم، **رائد التجديد الإسلامي محمد بن العنابي**، مرجع سابق، ص.11.

(3) نفس المصدر، ص ص.201-203 .

(4) نفس المصدر، ص.203 .

(5) محمد بن محمود(ابن العنابي)، **السعي المحمود في نظام الجنود**، تق و تح محمد بن عبد الكريم الجزائري، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1983، ص ص.203-204.

الخاصة بها، كما أوصى بأخذ الحيطة والحذر عند التعامل مع السياسة عامة، والمستجد منها خاصة لأنها كما قال: "**باب واسع تضل فيه الأفهام وتزل فيه الأقدام**"[1]، ورغم رأيه هذا فقد دعا المسلمين إلى أن يقتبسوا من حضارة الغرب من خلال قوله: "**إنما قصارى أمر ما رتبوا من ذلك أن يطرق أسماعنا شيء منه، وله أصل في شرعنا ويترجح عندنا السلوك عليه، فنبتدئ العمل به على نية أخذه من شرعنا لا على قصد إتباعهم فيه، لأنه لا يحل لنا ذلك**"[2].

وقد حذر المفتي من مغبة الوقوع في نوعين من الممارسات:

1. سياسة التفريط: التي تقصي الأحكام الشرعية في مختلف مجالات الحياة، وبهذا يكون أولوا الأمر على حسب قوله: "**قد سدوا من طرف الحق سبلا واضحة، وعدلوا إلى طريق من العناد فاضحة**".
2. سياسة الإفراط: التي تفضي إلى التشدد، والابتعاد عن روح الشرع والإجحاف في حقوق الناس، ومن ثم يرى أنهم "**تعدوا حدود الله وخرجوا عن قانون الشرع إلى أنـــواع الظلـم والبدع السيـاسيـــة**".

وبين هـــذا وذاك هنـاك سياسـة لا إفـراط ولا تفـريط، وهي المطلب الذي يلح على ولاة الأمور العمل به "**فذلك يجعلهم قد جمعوا بين السياسة والشرع، وقمعوا الباطل ودحضوه ونصبوا الشرع ونصروه**"[3].

كما حذر المفتي من استبداد الحكام بالرأي، وطالبهم بضرورة حسن الإصغاء لانشغالات واقتراحات رعيتهم بقوله: "**ومن أقبح ما يوصف به الرجال- ملوكا كانوا أو سوقة- الاستبداد**

(1)محمد بن محمود(ابن العنابي)، مصدر سابق، ص.201.
(2) نفس المصدر، ص.204.
(3) نفس المصدر، ص ص.367-368.

بالرأي"[1]، مشيرا إلى أن الرسول صلى الله عليه وسلم قد نبه من أن أمر الحكم يبقى مرهونا بسياسة الرحمة والعدل والإنصاف، فبدونها تزول الدول وذلك في قوله: "**إن قسوة القلب على الضعفاء والجور في الأحكام الشرعية، ومنع الحقوق عن مستحقيها والإيثار بها لمن لا يستحق من أسباب خراب الملك وزوال الدول**"[2].

في حين ينظر إلى واجبات السلطة على أنها متعددة الجوانب كون الحاكم العام ينهض بكل المجالات "**من تنظيم الأجناد، وانتخاب الرجال، واستجلاب قلوبهم، ببذل المستحق، وبإظهار العدل والمبرة والإحسان، وتهيئة الأدوات والذخائر، وتسديد الرأي في ذلك، وإعمال المشورة، والاستعانة بذوي الصلاح، والأخذ بالحزم، بترك الركون إلى السكون والدعة، والتهاون بالأعداء وإن ضعفت شوكتهم**"[3]، ليؤكد أنه لا تقوم السلطة ولا تستمر إلا بإقامة الميزان القسط الذي قامت به السماوات والأرض، وإظهار شعائر الدين، ونصر المظلوم، والأخذ على يد الظالم، وكف يد القوي عن الضعيف، ومراعاة الفقراء والمساكين، وملاحظة ذوي الخصاصة والمستضعفين[4]، وفوق كل هذا رأى أنه لنجاح العلاقة بين الحكام والمحكومين يجب توفر الإخلاص والصدق، والوفاء، وانعدام الرياء والنفاق الذي طالما طبع العلاقة بينهما، إذ يجب على الرعية طاعة الحاكم، كما هو ملزم بحسن اختيار أعوانه، ويبرز ذلك من خلال قوله: "**على المنتخبين لإقامة هذا المهم الشريف من رئيس ومرؤوس بذل ما يلزمهم امتثال أمر السلطان**

(1) محمد بن محمود(ابن العنابي)، مصدر سابق، ص.206.
(2) نفس المصدر، ص.187.
(3) نفس المصدر، ص.53.
(4) عمر بن قينة، مرجع سابق، ص.59.

والمسارعة إلى إجابته لذلك، لأنه من أهم فروض الكفايات، وأنها تتعين إذا عينها الإمام لوجوب طاعته في المباح...ما لم يأمر بمعصية"[1].

المطلب الثاني : جهوده في مجال الإصلاح العسكري

دعا ابن العنابي لبناء جيش عصري قادر على مواكبة التحديات الجديدة أمام العالم الإسلامي، وكان لا يرى عيبا في الاقتباس من النظم العسكرية الأوروبية في التسليح والتنظيم والصرامة، وبدعوته هذه يكون قد سبق المصلح المصري رفاعة رافع الطهطاوي في الأخذ بأسباب التطور، ونادى بهذه الأفكار الجديدة في سنة 1826هـ-1242م، وهي سنة بعثة الشيخ الطهطاوي إلى فرنسا، وعلى الرغم من أن الإسلام لا يمنع الأخذ من الغرب في النواحي التي لا تمس العقيدة الإسلامية[2]، إلا أن الفكرة التي كانت سائدة في عصره هي أن الاقتداء بالغرب في تطوره هو تشبه بالكفار، في حين اعتبر الشيخ ابن العنابي أن العلم ملك للإنسانية، غير أن آراءه التجديدية لم تلق آذانا صاغية وعقولا صافية وعزائم قوية.[3]

وفي كتابه "السعي المحمود في نظم الجنود" نادى بن العنابي بضرورة النهضة الإسلامية بالمنافسة مع العالم الأوروبي، واللحاق به في أنواع المبتكرات الصناعية والحربية، وذلك بمواكبة علومه ومخترعاته لتأمين السيادة للبلدان الإسلامية، وفي ذلك يقول: "**فكل ما يفيد منفعة لها تعلق بإعزاز الدين ورفعة أهله مما اشتمل عليه النظام المستجد للكفر من ترتيب العساكر وتصفيفهم وحصر أعدائهم وتعديد قوامهم وعرفائهم ولتوسيم أصنافهم وكبرائهم بخصوص لباس أو علامة وتضييق ملابسهم أو تقصيرها وتعيين مواقفهم وعملهم وتخصيص كل فريق برأيه**

(1) محمد بن محمود(ابن العنابي)، مصدر سابق، ص.54.

(2) أميرة مداح، **نظرة متأنية في تاريخ الدولة العثمانية**، دار الحارثي، الطائف، 1418هـ-1998م، ص.62.

(3) مولود عويمر، "النخبة الإصلاحية الجزائرية وسؤال التنوير في القرن 19 م وبدايات القرن 20"، مرجع سابق.

أو لـواء"[1]، ثم يضيف عن التدريب وفنـون القتـال فيقـول: "**ثـم تدريبهم علـى عمل الحرب لتعليمهم كيفية الرمي والطعن والضرب، وغيـر ذلـك مما يقتضيـه أمـر الحـرب مـن تصفيف وإغـارة واجتماع وافتراق وإقدام وإحجام وكر وفر وركوب ونزول وظهور وكمون وتحريض وتثبيت ورفع صوت وخفضه ورد منهزم وحراسة وغير ذلك مما قد تدعو إليه الحاجة فهو مشروع ...**" [2].

وفي تفسير قوله تعالى: {وأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وعَدُوَّكُمْ}[3] يذهب صاحب كتاب "صفوة التفاسير" إن تفسير هذه الآية الكريمة يتضمن الإعداد والاستعداد لقتال الأعداء بجميع أنـواع القـوة: الماديـة، والمعنوية، كما يجري، إعداد الخيل التي تربط في سبيل الله حتى تخيفوا بتلك القوة الكفار أعداء الله وأعداء المسلمين. وهكذا نرى أن الله سبحانه وتعالى يأمر المسلمين المجاهدين في سبيل الله إعداد القوة اللازمة لقتال الأعداء، وقد جاء التعبير عاما "من قوة" ليشمل القوة المادية، والقوة الروحية، وجميع أسباب القوة، من أسلحة جديدة وعتاد حربي متطور.[4]

كما طرح ضمن كتابه أفكاره بحرية في قضية خطيرة وهي جواز، بل وجوب تعلم الحضارة من الأوربيين(أو الكفار كما يسميهم)، ولعل ذلك ما يفسر لنا انتقال نسختين من كتابه إلى عاصمة الدولة العثمانية التي كانت في حاجة إلى مثل رأيه[5]، وكيف لا ينتقل كتابه ونحن نعلم بأنه كان شاهدا على ذلك في سنة (1221هـ/1806م) عندما هددت بريطانيا بقصف اسطنبول

(1) محمد بن محمود ابن العنابي، مصدر سابق، ص ص.51-52 .

(2) نفس مصدر، ص52 .

(3) سورة الأنفال، الآية 60 .

(4) محمد علي الصابوني، **صفوة التفاسير**، ج1، ط2، دار القرآن الكريم، لبنان، 1401هـ-1981 م، ص ص.511-512.

(5) أبو القاسم سعد الله، **ابن العنابي رائد التجديد الإسلامي**، مرجع سابق، ص57 .

إذا لم تطرد السفير الفرنسي بعد اعتراض روسيا وبريطانيا الشديد على السلطان حتى لا يعترف بنابليون إمبراطورا عليهم، وهذا ما أفزع السلطان خاصة لما رأى الأسطول الإنجليزي يطل على العاصمة ولولا الجنرال سباستياني الفرنسي الذي عرف كيف يستغل الوضع وينظم مقاومة شعبية وأشرف بنفسه على تنظيم الدفاعات عن اسطنبول لما اضطر الإنجليز لسحب أسطولهم[1] .

ويرى المفتي بن العنابي أن المستوى التعليمي هو في مقدمة عناصر الكفاءة العسكرية من أجل الترقية في صفوف الجيش مستشهدا بإلحاح الأحاديث النبوية الشريفة على أهمية العلم والتعلم إذ يقول "**جواز تعلم الكتابة من الكفار بلا شرط ضرورة**"[2]، ثم يضيف "**فالمراد تعليم صناعة الحرب التي هي علم بكيفية أعماله مع مباشرتها لتحصل ملكته، التي هي كيفية نفسانية، تصدر عنها أفعاله الاختيارية**"[3]، كما بين الصفات الدقيقة التي يجب أن يتحلى بها قائد الجيش بقوله الا القيادة يتولى"**إلا الرجل ذو البسالة والنجدة والشجاعة والجرأة، ثبت الجنان، صارم القلب، جريئه، رابط الجأش، صادق البأس، ممن قد توسط الحروب، مارس الرجال ومارسوه، ونازل الأقران، وقارع الأبطال، عارفا بمواضع الفرص، خبيرا بمواقع القلب والميمنة والميسرة من الحروب وما الذي يجب سده بالحماة والأبطـال من ذلك، بصيرا بصفوف العدو ومواقع العزة منه، ومواضع الشدة منه، فإنه إذا كان كذلك وصدر الكل عن رأيه كان جمعيهم كأنهم مثله**"[4]، ولم يكتف عند هذا الحد بل ذهب بعيدا في تصوره لأسباب النصر والغلبة عندما ألح على مواصفات لباس العسكري وهيئته مستشهدا على استحباب ذلك من سيرة الرسول صلى الله عليه

(1) خالد زيادة، **اكتشاف التقدم الأوروبي– دراسة في المؤثرات الأوروبية على العثمانيين في القرن الثامن عشر–** ، دار الطليعة، بيروت، 1981، ص57 .

(2) محمد بن محمود بن العنابي، مصدر سابق، ص.196 .

(3) نفس المصدر، ص.123.

(4) نفس المصدر، ص.118.

وسلم، حيث يقول في هذا الشأن: "**التضييق الذي اختص به الكفرة هو تقميط الثياب والسراويلات، بحيث تصف العورة على شكل خاص، وثياب النظام الإسلامي ليست بهذه المثابة، بل تخالفها في أكثر الصفات وبمشابهتها إياها من بعض الوجوه لا يثبت التشبه، لأن الخبر مطلق فيه، والمطلق ينصرف إلى الكامل، ولا يتناول الناقص، كما عرف في(الأصول)، فكانت خارجة عنه، مترقية عن مرتبة الاستحباب إلى الإباحة، لما بينا**"[1].

والجدير بالذكر أن مثل هذه العبارات لا تصدر إلا عن خبير في الأمور العسكرية وقائد متمرس عالم وضليع بأمور الحرب والعسكر، له رؤية وبصيرة ثاقبتين، الشيء الذي يجعلنا نقف بإجلال وإكبار أمام مثل هذه الشخصيات التي يجب أن تدرس أفكارها ونظرياتها في كبريات الجامعات والأكاديميات العسكرية عبر مختلف الأقطار العالمية لا سيما دول العالم الإسلامي، والحقيقة التي لا مرد لها أنه لو أخذ الداي حسين وغيره من حكام المسلمين بأفكاره ووعوها جيدا ثم طبقوها لما استطاعت أي دولة مهما كانت قوتها أن تحتلنا ولما كان حالنا مثل الذي هو عليه الآن.

ومهما كانت نتيجة هذه الإصلاحات العسكرية التي أكد عليها المفتي بن العنابي، فهي ضرورة حتمية، حتى مع وجود الصعوبات والعراقيل، لوقف عوامل الانهيار والتدهور التي أصابت المؤسسة العسكرية العثمانية ككل، وفقدان معظم تشكيلاتها، لروحها القتالية والانضباطية، لذلك شغل الجيش المقام الأول في الإصلاحات العثمانية والمصرية.

(1) محمد بن محمود بن العنابي، مصدر سابق، ص.104.

المطلب الثالث: جهوده في الإصلاح الديني والاجتماعي

في كتابه "السعي المحمود في نظم الجنود" انتقد المفتي بن العنابي معاصريه من الفقهاء بشدة، وسخر من أفكارهم ومظهرهم، كما نادى بضرورة النهضة الإسلامية بالمنافسة مع العالم الأوروبي.

وغير بعيد عن هذا الرأي نجد الإمام الشاطبي قد نبه إلى اختلاف مآل المصالح والمفاسد عن مقدماتها، فقال: "**النظر في مآلات الأفعال معتبر مقصود شرعا، كانت الأفعال موافقة أو مخالفة، وذلك أن المجتهد لا يحكم على فعل من الأفعال الصادرة عن المكلفين بالإقدام أو الإحجام إلا بعد نظره إلى ما يؤول إليه ذلك الفعل المشروع لمصلحة فيه تستجلب، أو لمفسدة تُدرأ، ولكن له مآل على خلاف ما قصد منه، وقد يكون غير مشروع لمفسدة تنشأ عنه أو مصلحة تُدْفَع به، ولكن له مآل على خلاف ذلك، فإذا أطلق القول في الأول بالمشروعية فربما أدى استجلاب المصلحة فيه إلى مفسدة تساوي المصلحة أو تزيد عليها، فيكون هذا مانعاً من إطلاق القول بالمشروعية، وكذلك إذا أطلق القول في الثاني بعدم المشروعية ربما أدى دفع المفسدة إلى مفسدة تساوي أو تزيد، فلا يصح إطلاق القول بعدم المشروعية، وهو مجال للمجتهد صعب المورد عذب المذاق، محمود الغب**[1]**، جارٍ على مقاصد الشريعة**"[2].

وقد نسب الشاطبي مقولة "**تُحدَث للناس أقضيـــةٌ بقدر ما أحدثوا من الفجـــور**" إلى الخليفـة العادل عمر بن عبد العزيز– رحمـه الله – حيث قال: فكذلك نقول: " كل ما كان من المحدثـات له وجه صحيح فليس بمذموم بل هو محمود، وصاحبه الذي سنه ممدوح فأين ذمها بإطلاق أو على العموم؟ وقد قال عمر بن عبد العزيز: "**تحدث للناس أقضية بقدر ما أحدثوا**

(1) أي العاقبة.

(2) الشاطبـــي، إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي، **الموافقـــات**، ت.بكر بن عبد الله أبو زيد، م5، دار بـن عفان للنشر والتوزيع، السعودية، 1417هـ–1997م، ص ص.177 و178.

من الفجور". فأجاز بهذا إحداث الأقضية واختراعها على قدر اختراع الفجار للفجـــور، وإن لم يكن لتلك المحدثات أصل[1].

كما خالف بن العنابي علماء عصره بمناداتــه إلى مشروع إصلاحي كبير وأفكار نيرة تخدم المجتمعات الإسلامية، أظهر فيه صاحبه آراء جريئة، فهو من أوائل علماء المسلمين الذين طرحوا قضية التجديد في النظم الإسلامية في القرن الثالث عشر هجري/أوائل القرن التاسع عشر الميلادي، وهو بذلك يعد من الأوائل بل أول الذين طرقــوا باب الاجتهاد الذي ظل مغلقا عدة قرون نتيجة للتأخر العقلي الذي كان عليه العالم الإسلامي في تلك الفترة، كما عالج أيضا قضية جمود عقلية علماء المسلمين أمام تقدم العقل الأوروبي، وقد نادى بمشروعه هذا من خلال كتابه الذي ألفه سنة(1242هـ/1826م) حين نزل مصر في إحدى حجّاته خلال تلك السنوات التسع التي قضاها بعيدا عن بلده، قبل الاحتلال الفرنسي للجزائر بحوالي أربع سنوات، فهو مشروع في سياسة الرعية، ونظام الدولة، فضلاً عن العمل بما يأمر به الشرع من عدل وإصلاح، تمكيناً للقيم الأصيلة في حضارتنا الإسلامية، انطلاقاً من النص القرآني ذاته، في مثل قولــه تعالــى: { وأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وعَدُوَّكُمْ }[2]، وهي الآية التي يوردها بن العنابي ليتبعها بقوله: "**اعلم أن هذه الآية الكريمة من أبدع جوامع كلم القرآن وأظهرها إعجازاً، لفظاً، ومعنى، لانتظامها جميع الأدوات والأسباب الحسية والمعنوية الموروثة، قوة ظاهرة أو باطنة تنتج إرهاب الأعـداء**" فكانـت أهم أفكاره :

- ضرورة وجود نظام سياسي ينتفي فيه الظلم، ويعمّ العدل، ويشيع حكمه الأمن الاجتماعي، والأمان الإنساني.
- جواز تعلم العلوم الآلية من الكفرة، بل وجوبها، وقبل ذلك كما يؤكد في الفصل الخامس

(1) الشاطبي،أبي إسحاق إبراهيم بن موسى، **الاعتصام**، ت:محمد بن عبد الرحمان الشقير، ج1، دار بن الجوزي، السعودية، 1429هـ – 2008م، ص.310.

(2) سورة الأنفال، الآية 60 .

عشر (15) ضرورة اجتماع الكلمة والاتفاق "فلا قوة لنظام، لا لجيشه ولا لحكمه في حضور (الاختلاف) و(الخلاف) السلبي منه بالخصوص، كما أنه لا جدوى من قوة ولا نجاعة لسياسة في نظام تكبر فيه المظالم، وينعدم العدل، وتضيع حقوق المواطنين"، وهو ما ركّز عليه في الفصل الرابع عشر من كتابه بعنوان: "في رحمة الضعفاء وإجراء العدل، وبذل الحقوق لمستحقيها "كواحد من مصادر القوة لنظام لا يخاف شعبه، بل يخيف الأعداء بشعبه القوي، بإيمانه وثقته التامة الموصولة في حكمه: الصارم، العادل، المخلص في سياسته لله وللوطن، وإرضاء الضمير الديني والوطني، معرضاً بأسباب سقوط الأنظمة التي يشيع فيها الظلم والكذب وإهمال العلم ورجاله، وتقريب الطفيليين المرتزقة، وذوي(اللهو) و(اللعب) و(الطرب) كما يقول، معتمداً في ذلك النص القرآني والحديث النبوي، محذراً بذلك كله" الحكام من الظلم والاستبداد، والجور في الأحكام، ومنع الناس حقوقهم، وإيثار من لا يستحق، مما يعتبره ابن العنابي هنا من :

" أسباب خراب الملك وزوال الدولة" وفي ذهنه مآل الدولة العباسية التي حظي فيها "المغنون" و"أهل اللعب والبطالة" بالرعاية، وأهملت الرعية، ويرى في ذلك أربعة شروط في الحاكم المرضي عنه من الله والعباد وهي:

1- إقامة العدل.

2- إظهار شعائر الدين.

3- نصرة المظلوم والأخذ على يد الظالم، وكفّ يد القوي عن الضعيف.

4- مراعاة الفقراء والمساكين وملاحظة ذوي الخصاصة والمستضعفين.

وهي رؤى استمدّ فيها الكاتب أوامر الشرع الكريم وقيم الحضارة العربية الإسلامية بخلفية دينية واضحة سعياً للإصلاح، وتمكينا للحسّ السياسي المسؤول، وتأصيلاً لتقاليد إسلامية في الأخوة

والمحبة والتآزر، والعدل والإنصاف، و العمل والإخلاص فيه، ومكافأة الجادين من أهل العلم والفضل، من دون إيثار لغير الكفاءة والإخلاص" .

وكان بن العنابي صريحا في وجوب الأخذ عن الأوروبيين ما تفوقوا فيه علينا، وقال انه ليس من البطولة والرجولة في شيء أن يتقدم الأعداء ويظل المسلمون في حالــة جمود بحجة أن ذلك لم يرد في النصوص أو لا يجوز تقليد الكفــار، وكان لهذا الكتاب ومـا احتواه من أفكار أثر كبير في الأوساط السياسيــة والدينية في عصره، ومن الذين قـرأوه والي مصر (محمد علي باشا) فأعجب بـه وبرؤية الرجل الإصلاحية، وفكره الإسلامي الثاقب، ومواقفه الصلبة، وصدقــه في الفعل والقول، وبموضوع الكتاب، ومنهجـه فأمر بتدريسه وتلخيصـه ليسهل تداولـه واستيعابه، وأمر بتعميمه وايصاله إلى المصالـح المختلفة في الدولـة، فقام تلميذ المفتي ابن العنابي الشيخ سيد إبراهيم السقــا بهذه المهمــة وأعطى لما لخصه عنواناً يعبّر عن غايته هكذا "بلوغ المقصود اختصار السعي المحمود"، وقد كان لقراءته وتدارسه للقرآن الكريم واهتمامه بالحديث الشريف رواية ودراية، دورا كبيرا في صقل موهبته ووفرة معلوماته مما أدى إلى قـوة حججه سواء في الإجابة عن الفتاوى الفقهية أو أفكاره الإصلاحية التجديديـة، وهو ما جعلـه أيضا يهتم بالتأليف والتقييد فـي الحـديـث الشريـف.

ومما يـدل علـى ذلـك انتخــابــه كتـابـاً مـن أحـاديـث صحيـح ابـن حـبـان*، وآخـر مـن

*ولد في (270هـ) و توفي سنة (354هـ) و هو الإمام الحافظ العلامة محمد بن حبان بن أحمد بن حبان أبو حاتم التميمي البستي أحد الأئمة الرحالين والمصنفين ذكره الحاكم أبو عبد الله فقال كان من أوعية العلم في اللغة والفقه والحديث والوعظ من عقلاء الرجال، صنف فخرج له من التصنيف في الحديث ما لم يسبق إليه وولي القضاء بسمرقند وغيرها، وسمع منه خلق كثير وقد كـان من الفقهاء عالما بالطب والنجوم وفنون العلوم ألف المسند الصحيح والتاريخ والضعفاء والكتب المشهورة في كل فن./أنظر محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي، **صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان**،ج1، ت: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط2، 1414-1993، ص ص.97-98-99.

زوائـد سنــن البيهقي**، وهي كتب متخصّصة قلّ من اعتنى بها في وقته، وله كتاب آخر انتقى فيه من الصحاح والكتب الستة، وهذه جهود نادرة في وقت كان فيه علم الحديث غريباً، ثم إن كتابه "السعي المحمود في نظام الجنود" جلُّه استدلال بالقرآن الكريم والحديث الشريف، حيث يرى العلامة أبو القاسم سعد الله أن سبب ذلك يعود لكونه "**يطرح الفكرة ثم يحشد لها من الشواهد القرآنية والأحاديث النبوية ما تصير معه مقنعة، في نظره، للمتزمتين والمترددين من قضية التجديد وتقليد الأجانب والتعلم منهم**"(1).

ونتيجة لنشاطاته التجديدية وإسهاماته الفعالة في الإصلاح الاجتماعي بمصر، صار للجامع الأزهر دورا إيجابيا ومركزيا في بلورة علاقات التمازج والانصهار بين المشارقة والمغاربة نتيجة تحفيزه وتشجعه لمزيد من الإقبال لطلبة العلم ولرجال المعرفة المهتمين بدارسة العلوم الإسلامية ودارسة الحضارة العربية الإسلامية في جميع مظاهرها، والاستفادة أيضا من التدريس على يد "بن العنابي" وتلاميذه الدين أخذوا من شخصيته وأسلوبه في التدريس وعلمه أيضا(2).

المبحث الثاني: مناصبه وعطاءاته العلمية

** هو العلامة أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخراساني، ولد (شعبان384هـ). وسمع من علماء مشاهير وصنف التصانيف النافعة وألف كتاب السنن والآثار وكتاب الأسماء والصفات وكتاب المعتقد وكتاب البعث وكتاب الترغيب والترهيب وكتاب الدعوات وكتاب الزهد وكتاب الخلافيات وكتاب نصوص الشافعي وكتاب دلائل النبوة ...، وقال عنه إمام الحرمين أبي المعالي الجويني ما من فقيه شافعي إلا وللشافعي عليه منة إلا أبا بكر البيهقي فإن المنة له على الشافعي لتصانيفه في نصره مذهبه، توفي(جمادى الأولى 458)/أنظر: شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، تح.شعيب الارنؤوط ومحمد نعيم العرقسوسي، ج18، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1405هـ-1984م، ص ص.163-169.

(1) محمد بن العنابي، مرجع سابق، ص.67.

(2) أحمد بشيري، **علماء من المغرب في الأزهر الشريف**، منشورات ثالة، 2007، ص.60.

المطلب الأول: القضاء.

وُلّي المترجم القضاء سنة(1208هـ/1794م) وهو دون العشرين، وبالرغم من خطورة المنصب لجسامة المسؤولية الملقاة على كاهل القاضي في قول كلمة الحق والحكم بما أنزل الله، فإننا لا نكاد نجد أحدا اعتذر عن قبول الوظيفة، بل العكس فقد سعى الكثير إلى التنافس الشديد عليها دون أن يقوموا بها حق القيام، وهناك نماذج كثيرة من أصناف العلماء المرتشين، كالقاضي الحنفي بقسنطينة عبد الله محمد بن المسبح الذي يقول عنه بن الفكون أنه اشتهر بتلقي الرشوة وشهادة الزور، ومثله أبي عمران موسى الملقب بالفكيرين الذي كان لا يتوانى في أخذ الرشوة طعاما أو نقودا من قبائل البدو[1]، وكان معظم القضاة ينظرون إلى القضاء على أنه مصدر وكسب للرزق، وتأتي وظيفة القضاء بعد الفتوى من حيث الأولوية، لأنها وظيفة سياسية دينية فقد كان وضع القاضي أهم من وضع المفتي، لذا بعض الفقهاء كانوا يعتذرون عنها خوفا من عدم التمكن من ممارستها أو لخطورتها،[2] فالقاضي هو حاكم شرعي له دور هام في المحاكم التي تطرح فيها القضايا المتعلقة بالأهالي في مختلف الميادين، سواء كانت مدنية أو اقتصادية تخص المعاملات التجارية[3]، كما أنه يلعب دورا في توجيه الوظائف الدينية و الإشراف على الأوقاف وتعيين القائمين عليها[4]، حيث يساعده في مهامه العديد من العدول[5]، إلا أنه لم تمضِ

---

(1) عبد الكريم الفكون، **منشور الهداية في كشف حال من ادعى العلم والولاية**، ت.ت.ت أبو القاسم سعد الله، دار الغرب الاسلامي، بيروت، 1987، ص.90.

(2) أبو القاسم سعد الله ، **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج1، مرجع سابق، ص.394 .

(3)RAYMOND (A.), **Grandes villes arabes à l'èpoque Ottomane**, Sindbad, Paris,1985, P126.

(4) خالد زيادة، "**السلطة المدنية من خلال وثائق المحاكم الشرعية**"، **المجلة التاريخية المغربية**، عدد39-40، مطبعة الإتحاد العام للشغل، تونس، 1985، ص.513 .

(5)MERCIER (E.), **Etude sur la confrerie des khouans de sidi Abd- El Kader El Djellani**,

Arnolet, Paris, 1869, p68.

سنتان على تعيين الشيخ بن العنابي حتى عَزَل نفسه، وذلك أنَّ والي الجزائر الداي حسن باشا كان ألزمه بأمر مخالف للشرع[1]، وهذا يدل على ورع المترجم وقوته في الحق.

ثم عاد للقضاء بعد عدة أشهر معززا مكرما، واستمر فيه إلى غاية سنة (1213هـ/1798م)[2]، وبهذا لم يدم المفتي بن العنابي في القضاء طويلا، حيث كان في المرة الأولى قد عزل نفسه مستقيلا من هذا المنصب الذي سعى الكثيرون للوصول إليه حتى ولو بطرق غير مشروعة مبرزا من خلال هذا التنحي قوة شخصيته وأنه في قول الحق لا يخشى لومة لائم، أما في المرة الثانية فكان قد ترك منصب القضاء ليتقلد وظيفة أعلى وأجل من القضاء وهي المفتي الحنفي للجزائر.

المطلب الثاني : الإفتاء

كانت وظيفة الإفتاء أسمى وظيفة يتولاها العالم، فهي تحتاج إلى العلم و التعمق في المسائل الدينية، إضافة إلى قوة الشخصية و النزاهة و الصلاح و الشجاعة[3] لأن المفتي هو المترجم للشريعة، وهذا من خلال إصداره الفتاوي في الأمور الدينية[4]، و بما أنه في أعلى الجهاز الديني[5]، فقد أسند له العثمانيون بالجزائر الرئاسة الدينية و القضائية تقليدا لما كان معمول به في إسطنبول[6] و قد كان يختار من الطبقة المثقفة الدينية، كما كان المفتي الحنفي

(1) أبو القاسم سعد الله، **رائد التجديد الإسلامي محمد بن العنابي**، مرجع سابق، ص.07.

(2) نفس المرجع، ص.08.

(3) أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، مرجع سابق، ص.391.

(4)RINN, **Marabouts et Khouans, étude sur l'islam en Algérie**, A. Jourdan, Alger 1884, p.7.

(5)BOYER (P.), "**contribution à l'étude politique religieuse des turcs dans la règence d'Alger** "in R.O.M,M.,N°1 ,1966, pp27, 28

(6) عقيلة ضيف الله، "**النظام القانوني و نظم تطبيق الشريعة في العهد العثماني**". **بحوث**، عدد4، 1997، ص.30.

بداية العهد العثماني يعين من اسطنبول، إلا أن هذا لم يستمر طويلا حيث أصبح يعين من الجزائر شأنه شأن الداي، ويذكر بن المفتي أن والده حسين بن رجب شاوش كان أول مفتي حنفي يعين من بين أبناء العثمانيين بالجزائر عام (1102هـ/1691م) حيث قال " **ووالدي أول القلغاز**[1] **في الخطة**[2]**، وقد صانها وزينها برفع الخصال**"[3]، وكان يهتم بالإفتاء في القضايا الخاصة بالعثمانيين و الكراغلة حسب المذهب الحنفي، أما المالكية فكان لهم مفتي خاص يستمد الأحكام من المذهب المالكي[4] متخذا من الجامع الكبير مقرا له و له مساعدان.

في سنة (1213هـ/1798م) توفي مفتي الجزائر الحنفي الشيخ محمد بن عبد الرحمان[5]، والذي كان قد تولى الإفتاء منذ سنة (1204هـ/1790)، فخلفه في منصبه الشيخ محمد بن العنابي، وذلك بداية من تاريخ وفاته(1213هـ/1798م) إلى غاية سنة (1236هـ/1821م)[6]، مع وجود تقطع يسير.

كما تولى نفس الوظيفة خلال الأشهر الأولى للاحتلال بعد انتقاله إلى الإسكندرية، حيث ولاه "محمد علي باشا" إفتاء الحنفية[7]بالإسكندرية، إذ سمع به من خلال إطلاعه على كتابه "السعي المحمود في نظم الجنود" فرحّب به، وخصّه باهتمام

(1) المقصود بهم الكراغلة وهم أبناء الأتراك من النساء الجزائريات / أنظر: ابن المفتي، مصدر سابق، (ها)ص.36.

(2) أي وظيفة القضاء

(3) ابن المفتي، مصدر سابق، ص.36.

(4) عقيلة ضيف لله، المرجع السابق، ص.118.

(5) أبو القاسم سعد الله، **رائد التجديد الإسلامي محمد بن العنابي**، مرجع سابق، (ها) ص.08.

(6) نفس المرجع، ص.08.

(7) فوزية لزغم، مرجع سابق، ص ص.78،79.

لكفاءتـــه العلميــة وجديتــه، وروحــه الإسلاميــة، وإخلاصه فــي رأيــه وعمله، فـأسنـد إليــه وظيفـة الإفتـــاء الحنـفــي فــي الإسكندرية بعد وفاة مفتيها الشيخ خليل السعران[1].

والغريب في الأمر أنه بالرغم من أهمية المنصب وسموه، إلا أن هذا لم يمنع من وجود بعض المفتين المرتشين، ومنهم حتى من تقلد المنصب بدون علم وكفاءة، مثل ما هو الحال مع المفتي الحنفي محمد النيار حيث يصفه بن المفتي بأشنع الأوصاف إذ يقول عنه: "**وهو رجل جاهل مرتش، قليل الدين، كما أنه كان أول عالم ينحني لتقبيل يد الباشا، بعدما كان هذا الأخير هو الذي يبادر إلى تقبيل أيدي العلماء، والأخطر من كل هذا أن ابن النيار كان لا يتوفر على أي مستوى علمي يؤهله لتولي منصب الإفتاء، فكان إذا ما سئل عن أي مسألة أو نازلة لا يبدي أي رأي فيها، و كل ما كان يفعله أنه يساند رأي السائل أو يصدر فتواه بناء على فتاوى مشابهة لها**"[2].

المطلب الثالث:التمثيل الدبلوماسي والتدريس

الفرع الأول : التمثيل الدبلوماسي

إضافة إلى وظيفة الإفتاء الحنفي، فإن المفتي محمد بن العنابي قد نال حظوة لدى الدايات، مما جعلهم يكلفونه ببعض المهام الدبلوماسية، فقد كلفه الداي عمر باشا أواخر (1233هـ/1817م) وبداية (1234هـ/1818م) بمهمة دبلوماسية إلى المغرب الأقصى قصد مقابلة السلطان سليمان الذي استقبله شخصيا، وكان سبب هذه السفارة طلب مساعدة عسكرية بعد الهجوم الذي تعرضت له مدينة الجزائر في سنة(1231هـ/1816م)، من قبل الأسطول البريطاني بقيادة "اللورد إكسموث Lord Exmouth" وقد كللت هذه المهمة بالنجاح، ويفصل هذه الحادثة

(1) أبو القاسم سعد الله، رائد التجديد الإسلامي محمد بن العنابي، مرجع سابق، ص.99.

(2) ابن المفتي حسين بن رجب شاوش، مصدر سابق، ص ص.88-89.

الشريف الزهار بقوله: "**حيث تم تعيين السيد الحاج محمد العنابي قاضي السادة الحنفية رسولا، فلما وصل إلى المغرب ودفع الخطاب أكرمه السلطان وأحسن إليه وأعطاه عتاد حربي ضم مركبي من نوع كربيط وبلادنرة، وأعطاه أموالا وأمره بتسليمها للمجاهدين**"[1].

وربما يكون قد كلف بنفس المهمة إلى إسطنبول لمقابلة السلطان العثماني محمود الثاني(1808-1839) بعد المواجهة بين الأسطول البحري الجزائري والأسطول الإنكليزي سنة 1816 م حين كانت خسائر الأسطول الجزائري كبيرة، أين يستفهم الأستاذ أبو القاسم سعد الله بدون ان يعطي إجابة لسؤاله "**هل أخذته قدماه إلى الآستانة في مهمة لدى السلطان محمود الثاني الذي سنجده يتحدث عن مآثره ومآثر أجداده في كتابه؟**[2]"، إلا أننا نجد "دوفلكس" يؤكدها حين ذكرها بالتحديد قائلا: "**في 24 جمادى 1232(1817) سيدي محمد بن العنابي القاضي الحنفي يذهب في سفارة لدى السلطان**"[3].

وقد تعاطى هذا المفكّر الجزائري من الرعيل النهضوي السياسة كدبلوماسي، حين كّلفه داي الجزائر أحمد باشا بالكتابة لباي تونس[4]حمودة باشا، فكتب الكتاب وبعثوا به إلى تونس مع العلم أن هذه الكتابة ليست من اختصاص القضاة، ولكن الموقف يدل على مكانة ابن العنابي بالنسبة للداي والباشا[5]، خصوصا إذا علمنا أنه أثناء إقامته بها كان معززا ومكرما بين العلماء، كما أكرمه باي تونس وأحاطه بالتبجيل والتعظيم، فقد وصف بأنه حري بالإجلال الذي خصه به أمير

(1) الحاج أحمد الشريف الزهار، **مصدر سابق**، ص.127.

(2) سعد الله أبو القاسم، رائد التجديد الإسلامي محمد بن العنابي، مرجع سابق، ص.37.

(3) A.DE VOULX, **TACHRIFAT RECUEIL DE NOTES HISTORIQUES SUR L'ADMINISTRATION DE L'ANCIENNE RÉGENCE D'ALGER**, IMPRIMERIE DU GOUVERNEMENT, ALGER ,1852, p.120

(4) سعد الله أبو القاسم، **رائد التجديد الإسلامي محمد بن العنابي**، مرجع سابق، ص.35.

(5) عبد الرحمان الجيلالي، **تاريخ الجزائر العام**، ج4، 04 أجزاء، دار الأمة، الجزائر، 2010، ص.252.

الوقت كون مقامه في العلم كبير[1]، إلا أن الأستاذ الكبير أبو القاسم سعد الله يذكر أنه "مما يلفت النظر أن وثائق تونس لا تذكر اسم بن العنابي مقرونا بكلمة (مفتي) رغم أنها تصفه بالحافظ والمحقق والعالم ونحو ذلك"[2]. وعلى عكس ما ذهب إليه الأستاذ أبو القاسم سعد الله وجدنا هناك من الوثائق التونسية ما قرنت إسمه بكلمة المفتي مثل ما هو الحال في كتاب "مسامرات الظريف بحسن التعريف" حسب ما أكده الشيخ بيرم الرابع حيث يقول محمد بن عثمان السنوسي: "**يقول الفقير محمد بيرم الرابع لطف الله تعالى به قد أجزت للسيد الشريف العفيف أبي عبد الله محمد الشاذلي السقاط قراءة أحزاب القطب الجامع سيدي أبي الحسن الشاذلي رضي الله تعالى عنه بحق روايتي لها بالإجازة العامة عن شيخنا العلامة أبي عبد الله محمد بن حسين الشهير بابن العنابي مفتي الحنفية بثغر الإسكندرية**"[3].

الفرع الثاني: التدريس والخطابة

إضافة لوظيفة الإفتاء الحنفي في الجزائر وكذا الإسكندرية التي أسنده إياها محمد علي باشا بعد وفاة مفتيها الشيخ خليل السعدان، فقد كلفه بممارسته التدريس في الأزهر الشريف حيث التفّ حوله كوكبة من الطلبة والمثقفين المصريين والتونسيين وسواهم مستفيدين من عمله وفقهه ورأيه، فأخذ عنه علماء من أهل الإسكندرية ومن خارجها، مثل الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن آل الشيخ ، وكذا محمد القاوقجي ومحمد بيرم التونسي ومحمد بن علي الطحاوي

(1) أبو القاسم سعد الله، رائد التجديد الإسلامي محمد بن العنابي، مرجع سابق، ص.38.

(2) نفس المرجع، ص.38.

(3) أبو عبد الله محمد بن عثمان السنوسي، **مسامرات الظريف بحسن التعريف**، تح و تع محمد الشاذلي النيفر، دار الغرب الإسلامي، ج 4، 1994، بيروت، ص.39.

المصري الذين أجازهم، وقد مكث الشيخ ابن العنابي بتونس وتصدر لتدريس الحديث كما أجاز الكثير من تلاميذه بها[1].

كما تتلمذ على يديه الشيوخ والعلماء أمثال محمد البنّا وإبراهيم السقا وعبد القادر الرافعي وغيرهم.

وإلى جانب باقي مهامه كان المفتي محمد بن العنابي قد تولي الخطابة، بحيث جرت العادة على أنه كل من يتولى خطة الفتوى يكون خطيبا بالجامع الجديد الذي يعتبر ثاني أهم مسجد في الجزائر بعد المسجد الكبير، وهو تابع للمذهب الحنفي، حيث أول من تقلد به الخطابة هو المفتي مسلم أفندي، "**ومن ثم بقيت هذه العادة، كل من يتولى خطة الفتوى يكون هناك خطيبا**"[2].

الفرع الثالث: نقابة الأشراف

عرف ابن العنابي اختفاء لمدة زمنية عن الساحة السياسية ثم ظهر في عهد عمر باشا لنجده ضمن قائمة وزراءه وأعيانه متقلدا وظيفة "نقيب أشراف مكة والمدينة"[3]، ويذكر حمدان بن عثمان خوجة بأنه يوجد في كل مدينة نقيب للأشراف بمثابة الحاكم الثاني للمدينة، و يختار من بين الأسر الشريفة، و واجبه كلما حدث أمر هام أن يجتمع في بيته مع شيخ البلد و سائر الأمناء التابعين له من أجل اتخاذ التدابير اللازمة[4]، ولعل هذا التعيين يضعنا أمام استنتاج جديد لم يذكره كل من ترجم للمفتي بن العنابي حسب ما توفر لي من مراجع بأن مترجمنا ينحدر

(1)Ahmed Abdesselem, **Les historiens tunisiens des 17,18 et 19 éme siècle**, librairie klincksieck, tunisie, 1973, p.223.

(2) ابن المفتي، مصدر سابق، ص.88.

(3) أبو القاسم سعد الله، **رائد التجديد الإسلامي محمد بن العنابي**، مرجع سابق، ص.34.

(4) حمدان بن عثمان خوجة، مصدر سابق، ص.87.

من أصل شريف من جهة الأم، خصوصا إذا علمنا أن المراجع التي تناولت سيرته لم تتحدث عن أمه ونسبها، وما إختياره لرئاسة نقابة الأشراف إلا ترجيحا لهذه الفرضية ولكن السؤال الذي يبقى مطروحا إذا كان نسبه شريفا حقا، فلماذا لم يذكره هو بنفسه؟

المبحث الثالث: أهم مؤلفاته ورأيه حول المرأة وبعض أشعاره

المطلب الأول: أهم مؤلفاته

ترك لنا المفتي الجزائري محمد بن العنابي مؤلفات عديدة في مختلف فروع العلوم، كان أهمها وأشهرها في السياسة التي برع فيها المفتي بن العنابي، وأغفل عنها غيره من العلماء، ومما لاشك فيه أن هذه المؤلفات هي التي جعلته معروفا لدينا، حيث لولاها لبقي مجهولا لدينا أو لوصل لنا من سيرته القليل، وهو ما أكده العلامة أبو القاسم سعد الله عندما قال أن الكبابطي إذا ما قورن بابن العنابي، ما يزال مجهولا، ولعل سبب جهل الناس به هو أنه لم يترك تأليفا هاما يعرف به.[1]

وفيما يلي أبرز مؤلفاته مقسّمة حسب موضوعاتها العلمية:

أ- علوم القرآن.

"العقد الفريد في التجويد"[2].

"التوفيق والتسديد في شرح الفريد في التجويد"[3].

"كتاب في فن التجويد، وآداب مجلس قراءة القرآن"[4].

(1) أبو القاسم سعد الله، **تجارب في الأدب والرحلة**، مرجع سابق، ص.71.

(2) إجازات حديثية جديدة، مصدر سابق، ص.76.

(3) نفس المصدر، نفس الصفحة.

(4) نفس المصدر، ص ص.12-13.

ب- الفقه والفتاوى :

"شرح الدر المختار" في الفقه الحنفي، وصل إلى ثلثيه، وقرَّظه عالم تونس محمد بيرم الرابع [1].

"إمعان البيان في بيان أخذ الأجرة على القرآن"[2].

"ثماني عشرة رسائل في وقف العقار"[3].

"رسالة في أداء زكاة الفطر"[4].

"رسالة خاصة بالمرأة"[5].

"الفتاوى(الفتح القيومي بجواب أسئلة الرومي)" أجاب بها الشيخ خليل الغزلات في إعتماد أو عدم إعتماد الخط والختم شرعا(مخطوط بالمكتبة الوطنية بتونس رقم:194و9732).[6]

"أجوبة على آداب مجلس قراءة القرآن".[7]

"الفضة المحضة في تجريد مسائل الروضة" وهو مخطوط في الفقه الحنفي تم نسخه سنة 1238هـ به 156 صفحة، وهذا المخطوط قد يكون لأول مرة تمت الإشارة إليه[8]، حيث لم يسبق لأحد ذكره من خلال ما توفر لي من مصادر

(1) إسم الكتاب كاملا هو الدر المختار في شرح تنوير الأبصار من تأليف محمد بن علي بن محمد بن علي بن عبد الرحمن بن محمد الحصني الأصل، الدمشقي، الحنفي، المعروف بالحصكفي علاء الدين، توفي سنة 1088هـ / أنظر، إجازات حديثية جديدة، مرجع سابق، (ها)ص.77.

(2) نفس المرجع، نفس الصفحة

(3) نفس المرجع، نفس الصفحة .

(4) نفس المرجع، نفس الصفحة .

(5) أبو القاسم سعد الله، رائد التجديد الإسلامي...، مرجع سابق، ص.13.

(6) نفس المرجع، نفس الصفحة.

(7) نفس المرجع، نفس الصفحة.

(8) ولعله قد يكون لأحد مؤلفاته المذكورة سلفا ولكن تم تغيير عنوانه.

ومراجع، وهو متاح للبحث والتحقيق.[1]

ج- العقيدة والتوحيد:

"*شرح* التوحيد للبركوي"، لم يتمّه[2].

"**خاتمة في التوحيد**" وضعها بمناسبة ختمه لدرس عقيدة التوحيد للسنوسي[3].

"مسألة في التوحيد" (مخطوط بالخزانة العامة بالرباط رقم ك 1089) [4].

د- علم الحديث:

"المقتطف من الحديث" اقتطفه من صحيح ابن حبان[5].

"مسائل منتقاة من كتب الحديث" مخطوط، توجد منه نسخة في الهيئة المصرية للكتاب تحت رقم 10422 في قسم الحديث بعنوان "المنتقى في الحديث".

"ثبت بعنوان: سند ابن العنابي الجزائري بأوائل الكتب الستة" مخطوط بالمكتبة الأزهرية تحت الأرقام 305405 و330612 و330804.

"المنتخب من فوائد المنتقى لزوائد البيهقي للبوصيري"[6].

"مجموعة من الإجازات والأثبات"[7].

(1) توجد نسخة منه في الجامعة الإسلامية للمدينة المنورة مسجلة برقم 2051 وتحت رقم 8266/2 ضمن تصنيف الفقه الحنفي.

(2) مجموع فيه إجازات من علامة الجزائر ابن العنابي الأثري، مصدر سابق، ص.13.

(3) أبو القاسم سعد الله، رائد التجديد الإسلامي محمد بن العنابي، مرجع سابق، ص.13.

(4) إجازات حديثية جديدة، مرجع سابق، ص.77.

(5) مجموع فيه إجازات من علامة الجزائر ابن العنابي الأثري، مصدر سابق، ص.13.

(6) نفس المصدر، نفس الصفحة.

(7) إجازات حديثية جديدة، مرجع سابق، ص.76.

هـ- السياسة والحكم:

"السعي المحمود في نظام الجنود" ويعد هذا الكتاب من أوائل الكتب التي تناولت تحديث المؤسسة العسكرية من المنظور الفقهي، ومضمونه ليس فقط ما يسترعي الانتباه وإنما توقيته كذلك، فقد كتبه ابن العنابي أثناء إقامته الأولى بمصر وتحديداً عام 1826م وهو العام الذي شهد تخلص السلطان العثماني من الإنكشارية وأعقبه الإعلان عن تأسيس الجيش العثماني الحديث الأمر الذي يرجح أن الكتاب لم يكن بعيداً عن هذه الحوادث[1].

وينقسم الكتاب إلى قسمين أو مقصدين بحسب توصيف مؤلفه؛ أحدهما يتعلق بالأمور الحربية ويشغل ثلثي الكتاب تقريباً والآخر يتعلق بالأمور السياسية[2]، ومع السطور الأولى نلحظ حضور الغرب صريحاً من دون مواربة **(أنظر الملحق رقم:03)**، وهو حضور نادر لدى الفقيه في مطلع القرن التاسع عشر، فالإشكالية البحثية التي افتتح بها الكتاب -بحسب مؤلفه- هي تطاول طغاة الأمم الكافرة على ترتيب جندهم وتدريبهم على طرق وأساليب قتالية لا عهد للمسلمين بها قصداً لمكيدة الإسلام وأهله فلم يعد بمقدور الجند الإسلامية تفريق شملهم على رغم استبسالهم فدعت ضرورة الحال إلى تدريبهم على النظام الجديد الذي وضعه الكفار، وصدر بذلك أمر من الدولة العلية فضيقت ملابس الجند واختصرت ورتب العساكر على نحو جديد فاستكره الناس ذلك ورأوا فيه اندراس للتقاليد الإسلامية[3].

ويؤسس ابن العنابي كتابه على فرضية جواز اقتباس النظام العسكري الغربي، وهو يسوغ ذلك الاقتباس عبر آليتين أولهما فقه الضرورة؛ فهو يصرح في مواضع عدة من كتابه أن «ضرورة

(1) فاطمة حافظ، "**الفقيه وتحديث المؤسسة العسكرية في بواكير القرن التاسع عشر**". **جريدة الحياة**.(على الخط المباشر).تمت الزيارة يوم:2018/02/22، متاح على الأنترنت على الرابط الآتي: http://www.alhayat.com

(2) أبو القاسم سعد الله، **رائد التجديد الإسلامي محمد بن العنابي**، مرجع سابق، ص.63.

(3) فاطمة حافظ، مرجع سابق.

الحال» و»الحاجة» تدعوان المسلمين إلى تحديث نظامهم العسكري الذي ألفوه منذ قرون، وهذه الإشارة إلى فقه الضرورة لها ما يبررها إذ ليس هناك من الشواهد النصية ما يدعم صراحة جواز الاقتباس عن الآخر، والثانية وجوب الطاعة لولي الأمر؛ فالطاعة تعني ضرورة الانقياد ظاهراً وباطناً ومغالبة الكراهة الطبيعية لمن عظم الله قدره وجعل طاعته من طاعته، لذا يجب امتثال أمر السلطان في الأخذ بالنظام حتى لا يخرج المسلم عن الطاعة المطلوبة منه فإن مات كان على الجاهلية.

ولما كان من العسير على ابن العنابي أن يقطع بجواز إدخال النظام الجديد استناداً إلى فقه الضرورة ومبدأ الطاعة وحدهما فقد كانت الحاجة ماسة إلى البحث عن بعض الشواهد النصية الداعمة حتى وإن لم تكن ذات صلة مباشرة بالموضوع، والنص المركزي الذي استند إليه قوله تعالى «وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة» ومن خلال عملية تأويل النص ذهب إلى أن القوة تشمل الأمور الحسية المادية والأمور المعنوية، وهي تشتمل على أي منفعة لها تعلق بإعزاز الدين ورفعة شأنه مما اشتمل عليه النظام الجديد للكفرة لاندراجه في عموم الآية الكريمة[1].

وقد توسع ابن العنابي كذلك في استخدام القياس، وأهم مواضعه ما أورده تحت عنوان «جواز تعلم العلوم الألية من الكفرة» حين جاء بحديثين نبويين يجيزان تعلم اللغات الأخرى على يد غير المسلمين ليقيس عليها العلوم الصناعية ويذهب إلى جواز تعلمها على أيديهم، ثم يمد الخيط ليصل إلى جواز الاستعانة بغير المسلمين من الغربيين في الجيش المسلم وهي مسألة يتعذر إثباتها لمخالفتها صنيع النبي صلى الله عليه وسلم لذا راح يبحث في النصوص الفقهية

(1) محمد بن محمود بن العنابي، مصدر سابق، ص.197.

حتى عثر على نص للإمام السرخسي يذهب فيه إلى أن في الاستعانة بهم زيادة كبت وغيظ لهم فنقله عنه... [1].

"صيانة الرياسة ببيان القضاء والسياسة" وهذا الكتاب ألفه تلبية لطلب محمد علي باشا والي مصر الذي تضايق من كثرة المشاكل التي يختلقها المفتين –على اختلاف المذاهب– وارتشائهم، فأمر مترجمنا أن يؤلف كتاباً يجمع فيه ما رجح من أقوال الأئمة الأربعة ويُعتمد في القضاء، فألّف كتابه:"صيانة الرياسة في القضاء والسياسة"، وهذا الكتاب هو الذي جلب عليه نقمة بعض مشايخ السوء الذين ما زالوا يكيدون له عند عباس باشا لما تولى الحكم حتى عزله كما ذكرت سابقا.

و– الأداب وعلوم البلاغة:

"التحقيقات الإعجازية بشرح نظم العلاقات المَجازية، في البلاغة والأدب"[2].

"شرح القصيدة الخزرجية في العروض" لمؤلفه الشريف الغرناطي، أبو القاسم محمد بن أحمد الحسني السبتي المتوفى سنة 760هـ وهو كتاب في العروض قام المفتي بن العنابي بنسخه[3] والتقديم له مع شرح للقصيدة[4].

كما لـه أشعـار في أغراض شتى منها المديح النبوي، والإخوانيات، وبعض المنظومات في الفقه والتوحيد، زيـادة علـى ذلك فلـه أيضـاً فتـاوى كثيـرة منشورة في مختلف كتبه الفقهية،

(1) فاطمة حافظ، مرجع سابق.

(2) مجموع فيه إجازات من علامة الجزائر ابن العنابي الأثري، مصدر سابق، ص.13.

(3)أنظر ملحق رقم:04، ص 116 من هذه الدراسة.

(4) توجد نسخة منه في الجامعة الإسلامية للمدينة المنورة مسجلة برقم 6497 وتحت رقم 8266/1 ضمن تصنيف العروض.

وإجازات متعددة، ومراسلات مع العلماء والساسة، ولـه أيضاً تقاريـظ وتعاليق علـى بعض الكتب.

وقد ذكر "فريديريك بودان" بأنه يوجد مخطوط باللغة العربية بجامعة "لياج" ببلجيكا تحت عنوان "**العطاس الزاهر المنير الكاشف عن حقائق الدر والتنوير" لمحمد بن محمود بن محمد بن حسين الجزائري الحنفي ابن العنابي (ت1850/1267)** [1]، ولعله قد يكون عنوان ثان لمؤلفه "شرح الدر المختار" على أرجح تقدير.

كما استنبطنا بعض فتاويه من خلال ما نقله طلبته مثل ما هو الحال عندما أستدل الشيخ عبد الرحمن بن عبد اللطيف بن عبد الله آل الشيخ على مسألة طرحت عليه بما قاله شيخه المفتي بن العنابي حيث قال" وأما ما ورد في السنن من السؤال(بحق السائلين وبحق ممشى الذاهب إلى المسجد) ونحو ذلك فالله سبحانه وتعالى جعل على نفسه حقا تفضـلا منه وإحسانا إلى عباده، فهو توسل إليه بوعده وإحسانه، وما جعله لعباده المؤمنين على نفسه، فليس من هذا الباب، أعني باب مسألة لله بخلقه، وقد منع ذلك فقهاء الحنفية، كما حدثني به محمد بن محمود الجزائري الحنفي رحمه الله تعالى بداره بالإسكندرية، وذكر أنهم قالوا: لا حق لمخلوق على الخالق[2].

المطلب الثاني: رأيه حول المرأة

تبرز نظرة المفتي بن العنابـي للمـرأة من خـلال الإجابـات على الفتـاوى التي سئلت له عنها، حيث يتضح جليـا في هذه الحال بأنـه ناقـلا لا مجتهدا، كما ألـزم نفسـه بتطبيق القاعدة الفقهيـة القائلة "**لا اجتهاد مع نص**" مستندا على ما جاء في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة

(1)Frédéric Bauden, **Catalogue of the Arabic, Persian and Turkish Manuscripts in Belgium**, Volume 1 Handlist Part 1 : Part 1 : Université de Liège, BRILL, 2016, p.400.

(2) عبد الرحمن بن عبد اللطيف بن عبد الله آل الشيخ، مصدر سابق، ص.287 .

وكذا إجماع أئمة المسلمين، وهو بذلك سد على نفسه باب الاجتهاد كون النصوص واضحة وصريحة لا تحتاج للتأويل بل تحتاج للاستدلال طالما النصوص موجودة وصريحة ، فهي بذلك لا تقبل الاجتهاد والقياس مثل ما هو الحال مع القضايا التي اجتهد فيها باعتماده على القياس السؤال الذي طرح عليه فيشأنها يوضح ذلك وقد كان السؤال كالآتي: "**هل إذا اتخذت المرأة رجلا أجنبيا أخا لها في الله يجوز لها أن تكشف عليه وينظر منها ماعدا ما بين السرة والركبة أولا؟ فان جوابه عليه في أنه يرى لا يجوز للمرأة الشابة أن تكشف وجهها للأجنبي، كما لا يجوز لها أن تكشف له أكثر باطن كفيها وما تحت قدميها**".[1]

وقد كانت إجابته واضحة وصريحة ومنطقية بعيدة عن التأويل حيث جاءت كما يلي: "إنه لا يجوز للمرأة أن تكشف للأجنبي سوى باطن كفيها وما تحت الكعبين من قدميها، وأما الوجه فإنه وإن لم يكن عورة في حق الصلاة وفي حق النظر إليه –إن آمن الشهوة– فانه تمنع المرأة الشابة من كشفه بين الأجانب دفعا للفتنة وحسما لمادة الفساد والشر، وحكم المس في ذلك أغلظ.

وقد جاء في مختارات النوازل ((ولا يمس وجهها وكفيها وإن كان يأمن من الشهوة لعدم الضرورة فيه إن كانت شابة لان حكم المس أغلظ من حكم النظر ولهذا لم تثبت به حرمة المصاهرة))، وإذا عرف هذا فلا يحل لامرأة تؤمن بل وإن كانت عجوزا فانية إن تكشف عضديها وذراعيها وما أشبه ذلك لأجنبي أصلا. [2]

وأما مؤاخاة المرأة في الله بهذا الغرض المحرم فإنها من كبائر المعاصي فان اعتقدها مع ذلك قربة كما يقع من كثير من الدراويش المتقشفة، فانه يصير بذلك كافرا مرتدا لاستحلاله الحرام

(1) أبو القاسم سعد الله "**من آثار إبن العنابي**" ، **مجلة الأصالة**، مج 15، ع 37 /36، تلمسان: منشوارت وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، الجزائر، 2011، ص ص.97،96،94.

(2) أبو القاسم سعد الله، **رائد التجديد الإسلامي محمد بن العنابي**، مرجع سابق، ص.121.

القطعي، فان حرمة النظر إلى موضع الزينة من الأجنبية من الأمور القطعية الثابتة بقوله تعالى(ولا يبدين زينتهن)[1]، وعلى ذلك إجماع الأمة وهو من ضروريات الدين، ومن استحل الحرام القطعي الذي يعلمه كل احد امن أهل الإسلام فانه يصير كافرا[2].

ونجده هنا يذهب إلى التحريم القطعي لمؤخاة المرأة مع الرجل في الله حيث أن النظر إلى موضع الزينة من الأجنبية هو أمر قطعي ثابت مستندا في حكمه بقوله تعالى(ولا يبدين زينتهن)، وكذا على إجماع الأمة.

فان غلب فاعل ذلك الجهل والغباوة فانه يجزر عنه، وتكشف شبهته، فان انتهى فذاك المراد وإن أبا(كذا) إلا تماديا على ضلاله وغيه فيجب على أمراء الإسلام قتله وإراحة المسلمين من شره لظهور زندقته والزنديق إذا اخذ قبل التوبة قتل ولا تقبل له توبة، ورفع فساد هؤلاء الزنادقة الذين ادخلوا على الإسلام وأهله أعظم الفساد والشر من أعظم ما يتقرب به إلى الله تعالى، فهو من أعظم الجهاد، ولا تغتر بما يظهرونه من الإصلاح والنسك فانه من مكر الزندقة وخداعها أخزاهم الله وأبعدهم وسلط عليهم من ملوك الإسلام الذابين عن حمى شريعة الله سيد المرسلين من يشتت شملهم ويحسم مادة فتنتهم وشرهم[3].

المطلب الثالث: بعض أشعاره

(1) سورة النور، الآية 31.

(2) مجموع فيه إجازات من علامة الجزائر ابن العنابي الأثري، مصدر سابق، ص.17.

(3) أبو القاسم سعد الله، **رائد التجديد الإسلامي محمد بن العنابي**، مرجع سابق، ص.122.

كغيره من علماء عصره اهتم مترجمنا بالشعر، حيث وقفنا على بعض من محاولاته الشعرية والتي هي قليلة جدا، غير أن العلامة أبو القاسم سعد الله لا يستبعد أن يكون له أثار شعرية أخرى شأنه شأن المشايخ والعلماء الذين عاصروه، بل أكد ذلك عندما قال: "**ومن الأكيد أن لإبن العنابي مؤلفات أخرى لم يذكرها له مترجموه**"(1)، ليضيف بأن "له أشعار وتقاريظ" إلا أنه لم يصل إلينا من شعره إلا أبيات قليلة.(2)

أما فما يخص مجال الشعر فقد كانت للمفتي "محمد بن العنابي" أبيات شعرية من بينها التي بعث بها إلى آل بيرم (عائلة كبيرة بتونس) في شكل مكتوبا ضمن غرض **المدح** وهي كالتالي:

بني بيرم زان البسيطة ذكرهم فمالهم في المشرقين نظير
هم أحرزوا فضل المعارف والتقى ولا سيما صدر إليه أشير
جميل المحيا زاهر الوجه حجة يبين الهدى للمهتدي وينير
فبلغهم أسنى السلام وخصه فإني على نهج الوداد أسير(3)

فقد كانت هذه الأبيات التي مدح فيها إبن العنابي آل بيرم أصدقائه وتلامذته بتونس عامة، ثم خص بالذكر واحد منهم بعينه دون أن يسميه، ولعله يقصد تلميذه وصديقه محمد بيرم الرابع الذي بقي يتواصل معه حتى مماته.

وعند ذكر صاحب النظم يترحم عليه ابن "العنابي ": في أول بيت له من النظم وهو يا سائلا حصر العلاقات التي وضع المجازها يصوغ ويحمل ثم يقوم بشرح البيت، وقال عن العلاقات أنه جمع علاقة، تقال على علاقة السيف ونحوها ويراد بها الصلات بين الألفاظ

(1)أبو القاسم سعد الله، **رائد التجديد الإسلامي محمد بن العنابي**، مرجع سابق، ص.105.
(2) نفس المرجع، نفس الصفحة.
(3) نفس المرجع، ص.123.

والمعاني، وعندما انتهى المفتي من تأليف كتاب "التحقيقات الاعجازية بشرح نظم العلاقات المجازية" في سنة (1231هـ/1815م) قدمه إلى شيخه علي بن عبد القادر بن الأمين، مفتي المالكية في الجزائر فكتب فيه أبيات في حق هذا التأليف:

نص الفصوص لنور العين مستعار فص النصوص بديع الزمن استنارة
يطوف العصر افتانا متوجه صاغ لها الصاغ (كذا) قرطين على المنار
طبق البيان معان (كذا) التاج رضعها سبعا بنيرة الكواكب السيارة
مجاز مرسله حق مشاكلة تغلب مكني بالاستخدام استعارة
حيا الضياء فود الشمس مقتبسة شمس البني من أبي بان بلا استخارة
صلو(كذا)على المصطفى وسلوا واقفوا بختم الرضى قفوا ألفي الخيرة

والحقيقة التي لا يمكن تجاهلها أن هذه الأبيات المذكورة أعلاه والتي نظمها شيخه علي بن عبد القادر بن الأمين لا ترقى لمستوى عالم بحجم شيخه، حيث كان أسلوبها ركيك ومعانيها مبهمة وبها أخطاء إملائية وهو ما أكده أيضا العلامة أبو القاسم سعد الله حين قال عنها "**أبيات متكلفة غامضة ومكسورة**"[1]، إلا أنه بالرغم من كل هذا فإن هذه الأبيات كانت تقديرا وشكرا "لابن العنابي" من شيخه المتذوق للفن، وبعد أن توفي شيخه في (1236هـ/1820م) قام "بن العنابي" بوضع أبيات شيخه في صدر الكتاب.[2]

(1) أبو القاسم سعد الله، **رائد التجديد الإسلامي محمد بن العنابي**، مرجع سابق، ص.98.
(2) نفس المرجع، نفس الصفحة.

الفصل الثالث

المحطات الكبرى للمفتي محمد بن العنابي.

المبحث الأول: هجرته خارج بلده وعودته إليها ثم نفيه لمصر.

المبحث الثاني: تلاميذه وموقفه من الاحتلال الفرنسي.

المبحث الثالث: محنته ووفاته والثناء عليه.

سنتناول في هذا الفصل أهم المحطات الكبرى التي تخللت حياة المفتي الجزائري محمد ابن العنابي، وذلك بتفصيل أهم الأحداث التي عاشها مفتينا من هجرته الأولى ثم عودته للجزائر وموقفه من الاحتلال الفرنسي لبلاده ثم نفيه إلى غاية وفاته ورأي العلماء والمشايخ حوله وكل هذه الأحداث وغيرها ستتم معالجتها في ثلاثة (03) مباحث يضم كل مبحث ثلاثة (03) مطالب مفصلة طبقا للعناصر الموضحة أدناه.

المبحث الأول: هجرته خارج بلده وعودته إليها ثم نفيه لمصر

المطلب الأول:الهجرة الأولى 1820-1829م (مصر- السعودية- تونس)

في سنة (1236هـ/1821م) خرج المفتي محمد بن العنَّابيّ من الجزائر حاَجًّا بمعية والده يصحبهما محمد أفندي -أخي الداي حسين باشا والي الجزائر-، مما يدل على أنهما ذهبا في موكب رسمي، إلا أنه بعد إتمام المناسك وفي طريق العودة إنفصلا عن مرافقهما محمد أفندي بسبب مشاحنة بين هذا الأخير ووالد المفتي بن العنابي "محمود بن محمد"[1]، في حين يذكر محمد بن زياد التكلة أن هذه المشاحنة لم تكن بين والد المفتي وأخ الداي حسين بل كانت مع محمد أفندي والمفتي بن العنابي نفسه بدليل أن والد المفتي كان قد توفي ببحر السويس سنة 1236 في طريقهم للعودة، وأن المشاحنة حدثت بالإسكندرية بعد وفاة والده[2]، وقد استقر المقام بالمفتي بن العنابي في الإسكندرية بعد أن أتم مراسيم تأبين والده الذي دفنه بالقرب من بحر السويس[3]، ثم توجّه للقاهرة منفردا حيث كان قد إفترق عن محمد أفندي منذ مدة بسبب المشاحنة التي حصلت بين هذا الأخير مع والده عندما كان حيا[4]، وبقي يدرّس ويفيد في جامع الأزهر نحو تسع (09) سنوات، وأخذ عنه عدد من العلماء، منهم الشيخ إبراهيم السقا، والشيخ محمد الكتبي، والشيخ أحمد التميمي الخليلي مفتي القاهرة وغيرهم، وخلال إقامته بالقاهرة مدرسا بالأزهر حج المفتي ثلاث(03) مرات[5].

(1) عبد الحميد بيك، مصدر سابق، ص.188 .

(2) **مجموع فيه إجازات من علامة الجزائر بن العنابي** ...، مصدر سابق، (ها) ص.8.

(3) خالد زيادة، **اكتشاف التقدم الأوروبي...، مرجع سابق**، ص.57 .

(4) عبد الحميد بيك، مصدر سابق، ص188 .

(5) أبو القاسم سعد الله، **رائد التجديد الإسلامي محمد بن العنابي**، مرجع سابق، ص.8.

وفي سنة 1245هـ أرسل له الداي حسين باشا يطلبه إلى الجزائر، مرسلا له سفينة خاصة ليعود بها إلى الجزائر، وبالفعل قد عاد بها مستجيبا لطلب الباشا حسين، ويذهب العلامة أبو القاسم سعد الله أن إرسال سفينة مخصوص إلى المفتي بن العنابي[1] قد يكون سببه استرضاء له بعد أن بقي حوالي تسع سنوات في مصر غاضبا أو مغضوبا عليه سياسيا[2]، مع العلم أن المفتي بن العنابي قد سبق له أن تم عزله من الإفتاء في عهد علي باشا، حين وقعت مناقشات حادة أثناء إنعقاد المجلس الشرعي الذي كان يجتمع يوم الخميس من كل أسبوع[3] بحضور الباشا أو من يمثله رسميا، إذ على إثرها قرر الباشا في اليوم الموالي (أي الجمعة)، بعد التقرير الذي قدمه له الحاج إسماعيل بن سفنجة القاضي الحنفي وعضو المجلس صبيحة يوم الجمعة قبل الصلاة المصادف لتاريخ غرة شعبان 1226هـ الموافق لـ:1811/08/23م بعزل كل من المفتي الحنفي آنذاك الشيخ محمد بن العنابي واستخلافه بالشيخ أحمد بن إبراهيم بن أحمد وكذا عزل المفتي المالكي علي بن الأمين واستخلافه بالشيخ محمد بن الحفاف[4]، وفي الوقت الذي وصل فيه المفتي ابن العنابي أراد الدخول على الباشا، إلا أن دخوله تزامن من المفتي الحنفي آنذاك وهو الشيخ أحمد بن عمر بن مصطفى فتقدم عليه المفتي بن العنابي وسبقه في الدخول، مما جعل المفتي أحمد بن عمر يتغير منه، معترضا على دخوله قبله كونه خالف بذلك الرسوم، إلا أن ردة فعله هذه بلغت الباشا حسين فقال إنه يستحق التقدم عليه، وقام بعزله من الإفتاء وولى مكانه الشيخ بن العنابي مفتيا للحنفية بالجزائر،[5]

(1) أبو القاسم سعد الله، **رائد التجديد الإسلامي محمد بن العنابي**، مرجع سابق، ص.9.

(2) نفس المرجع، (ها) ص.9.

(3) Venture de Paradis, Tunis et Alger au XVIII éme siècle; mémoire et observation, rassemblé et présenté par Joseph Cuoq, Sindabad, Paris,1983, p.254.

(4) A. DE VOULX, OP. CIT, p.177

(5) أبو القاسم سعد الله، رائد التجديد الإسلامي محمد بن العنابي، مرجع سابق، ص.9.

وبهذا الموقف من حسين باشا تبرز المكانة الكبيرة التي يحظى بها المفتي بن العنابي، لما يتميز به من دور فقهي وسياسي وحتى عسكري عندما تقدم صفوف الجند أثناء دفاعه عن بلده لما غزاها المحتل الفرنسي.

المطلب الثاني: عودته إلى الجزائر(1829–1831م)

كانت المرحلة التي عاش فيها المترجَم مرحلةَ ضعفٍ وانحطاط في البلدان الإسلامية في مختلف المناحي، وكانت الجيوش الصليبية في أوروبا تتربص للانقضاض عليهم، وباتت نياتهم واستعداداتهم جلية[1].

وفي أواخر سنة (1244هـ–1928م) أرسل له حسين باشا والي الجزائر سفينة خاصة يطلبه للمجيء، فذهب إليه عائدا من مصر وفي طريقه مرَّ بتونس في سنة (1245 هـ–1929م) حسب ما أكده الشيخ بيرم الرابع حيث يقول محمد بن عثمان السنوسي: "**يقول الفقير محمد بيرم الرابع لطف الله تعالى به قد أجزت للسيد الشريف العفيف أبي عبد الله محمد الشاذلي السقاط قراءة أحزاب القطب الجامع سيدي أبي الحسن الشاذلي رضي الله تعالى عنه بحق روايتي لها بالإجازة العامة عن شيخنا العلامة أبي عبد الله محمد بن حسين الشهير بابن العنابي مفتي الحنفية بثغر الإسكندرية وذاك عند اجتيازه بحضرة تونس في سنة 1245 خمي [خمس] وأربعين ومائتين وألف**"[2]، وأخذ عنه بعض علمائها، ووصل إلى الجزائر أوائل سنة(1245هـ–1929م)، وفيها قدّمه الوالي، وقلّده الإفتاء من جديد، كما سبق ذكره.

(1) أبو القاسم سعد الله، **رائد التجديد الإسلامي محمد بن العنابي**، مرجع سابق، ص.11.

(2) أبو عبد الله محمد بن عثمان السنوسي، مصدر سابق، ص.39.

وكان المترجم ممن تنبه لهذه الأخطار المحدقة بالأمة، فكان من أوائل المنادين لتقوية الجيش المسلم، وإعداده، وتنظيمه، وتحديثه، وإصلاحه، وألّف في ذلك كتابه المشهور: ((السعي المحمود في نظام الجنود))[1]، وكان ذلك في مصر سنة 1826م.

وبُعيد رجوعه إلى الجزائر غزا الفرنسيون البلاد، فقام حسين باشا بتولية المترجم رئاسة العسكر في الوقت الذي كان فيه ضعيفاً[2]، فقاتل المستعمرَ ولكن انتصر الأعداء الأقوياء في النهايةً.

أقام المترجم في منزله مُظهراً المسالمة، مع تعدد إنكاره على الحاكم الفرنسي الجنرال كلوزيل، ولكنه كان يتواصل مع العربان خفية ويحرّضهم على الجهاد وطرد المستعمر، فلما بلغ المحتل ذلك هاجم الجنود منزله، ولما استشعر هو الهجوم رمى بالمكاتبات والأوراق في بيت الخلاء، ففتشوا المنزل ولم يحصلو على شيء، إلا أنه تعرض إلى النفي بسبب تحركاته ونشاطه في الدفاع عن الأوقاف الإسلامية، فلم يجد كلوزيل حلاً إلا إبعاده نهائيا من البلاد، وليضع حدا لما يحدث فقد حيكت في حقه مؤامرة قرر فيها "كلوزيل" سجن المفتي ثم نفيه[3]، ويُفصل حمدان خوجة في الحادثة قائلاً: "زار **مترجم الجيش الفرنسي المفتي بن العنابي وأخبره بأن القائد العام ينوي الجلاء عن الجزائر ويرغب في تسليمه الحكم، فهل يتمكن من تنظيم جيش وقوة كافية للحفاظ على الهدوء في البلاد، والدفاع عنها؟ فأجاب المفتي: "لما يحين الوقت سأفعل المستحيل من أجل إعادة التنظيم"، فسأله المترجم: "من أين تجمعون الجيش، هل من الضواحي فقط،أم أن مصادركم متوفرة في كل الجزائر؟ "فأجابه المفتي: "في المدن، وكل الإيالة، فعندما يتوجب ذلك، فإنه بإستطاعتي جمع ثلاث آلاف رجل في خدمتي**" وقام المترجم

(1) صالح بن النبيل فركوس، **تاريخ جهاد الأمة الجزائرية للإحتلال الفرنسي المقاومة المسلحة 1830-1962**)، دار العلوم للنشر والتوزيع، الجزائر، 2012، ص14.

(2) أبو القاسم سعد الله، **رائد التجديد الإسلامي**...، مرجع سابق، ص.81.

(3) صالح بن النبيل فركوس، **مرجع سابق**، ص.14.

بإخفاء رجلين ليشهدوا على المحادثة[1]، ويذهب حمدان إلى أبعد من ذلك حين يقوم بتعرية السياسة الاستعمارية القمعية قائلا: "هذه هي الوسائل التي استخدمت لإيقاف المفتي" وينتقد الجنرال كلوزيل فيقول: "**هذه هي المبادئ التي طبقها السيد الحاكم، عندما أراد أن يقوم بعمل ظالم ينفي هذا أو يسلب أملاك آخر فكل الوسائل كانت مسموحة، ويجب أن نعتبر أننا محظوظين بكوننا عُوقبنا، سواءً بالنفي، أو بفقدان الممتلكات**".[2]

وعملية التهجير هذه بحمل الأعيان والقادة والسياسيين على مغادرة بلادهم بدأت فرنسا بتنفيذها منذ الوهلة الأولى للاحتلال، وذلك باتهام العناصر الفاعلة في الساحة الدينية والسياسية بالتآمر ضد الفرنسيين أو الارتباط بالأتراك ونحوها من الاتهامات[3].

عملت فرنسا على إضعاف السلطة القضائية عن قصد ومن سمعة ومكانة المفتين وكان محمد بن العنابي أول من نفته السلطات الفرنسية بعد الاحتلال مباشرة[4]، وطلب حمدان خوجة من كلوزيل أن يمهل المفتي بعض الوقت حتى يبيع أملاكه وينهي إلتزاماته ولم يحصل له على (20) عشرين يوما إلا بشق النفس وبتقديم ضمانات شخصية، وبعد إنقضاء هذا الأجل، غادر ابن العنابي إلى الإسكندرية[5].

ويذكر الدكتور أبو القاسم سعد الله أن تاريخ النفي غير معروف ولكنه بدون شك كان في خريف أو شتاء 1830-1831 لأن كلوزيل تولى المنصب في الجزائر سبتمبر 1830[6].

(1) حمدان بن عثمان خوجة، مصدر سابق، ص.228 .

(2) نفس المرجع، نفس الصفحة.

(3) أبو القاسم سعد الله، **أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر**، ج4، مرجع سابق، ص.193.

(4) ابن العنابي، مصدر سابق، ص.11.

(5) عثمان بن حمدان خوجة، مصدر سابق، ص.229.

(6) أبو القاسم سعد الله، **محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث**(بداية الاحتلال)، مرجع سابق، ص.79.

المطلب الثالث: الهجرة الثانية 1831م حتى وفاته (نفيه إلى مصر)

لما عاد الشيخ محمد بن العنابي إلى الإسكندرية –ولكن هذه العودة لم تكن كسابقتها إذ هذه المرة عاد منفيا من بلاده– كان مفتيها الشيخ خليل السعران قد توفي، فقام محمد علي باشا بتعيين المترجم مفتياً للحنفية فيها[1]، وهناك أخذ العلماء عنه من أهل الإسكندرية ومن خارجها، مثل الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن آل الشيخ الذي زاره سنة 1247هـ، وكذا محمد القاوقجي[2].

وخلال إقامته بمصر توثقت علاقته بمحمد علي، وهناك من الدلائل ما يشير إلى أن الباشا كان يختصه دون الأزهريين ببعض المهام، فقد طلب منه أن يضع كتاباً منتخباً من صحيح المذهب الحنفي ليكون مرجعاً للقضاة[3] وقد ذكرت فاطمة حافظ أن وفاة محمد علي حالت دون إتمامه[4]، ويؤكد ذلك العلامة أبو القاسم سعد الله عندما يقول: "**أن ابن العنابي قد كتب منه عشر كراسات، مما يوحي بأنه لم يتمه**"[5]، وأصبح مرجعا بين القضاة واعتمد عليه في القضاء مدة، وقد وقف ضده الجامدون من أصحاب المصالح الشخصية[6]، بل لقد كان هو الكتاب نفسه الذي تسبب في عزله من قبل عباس باشا من الإفتاء[7]، ويبدو أنه يقف بشكل أو بآخر وراء كتابه الأشهر «السعي المحمود في ترتيب العساكر والجنود» الذي اطلع عليه وطلب من احد تلاميذه اختصاره.

(1) أبو القاسم سعد الله، **رائد التجديد الإسلامي محمد بن العنابي**، مرجع سابق، ص.10.
(2) نفس المرجع، ص.11.
(3) فاطمة حافظ، مرجع سابق.
(4) نفس المرجع.
(5) أبو القاسم سعد الله، **رائد التجديد الإسلامي محمد بن العنابي**، مرجع سابق، ص.ص.100–101.
(6) علي أجقو، "**المفتي الحنفي الجزائري ابن العنابي وإسهاماته في مجال الثقافة، السياسة، الإصلاح والمقاومة**"، المؤتمر الدولي الحنفية والماتيردية، كلية الالاهيات، جامعة قسطموني، تركيا، أيام 5–7 مايو 2017، ص.11.
(7) إجازات حديثية جديدة، ص.74.

بقي المترجم في منصب الإفتاء بالإسكندرية حتى سنة 1266هـ إلى أن عزله عباس باشا بسعي من بعض مشايخ السوء، ولذلك واقعة، خلاصتُها أن المشكلات كثرت من أرباب الدعاوى بسبب المفتين –على اختلاف مذاهبهم– وارتشائهم، فتضايق محمد علي باشا أواخر أيامه فطلب من المترجم أن يؤلف كتاباً يجمع فيه ما رجح من أقوال الأئمة الأربعة ويُعتمد في القضاء، فألّف كتابه: ((صيانة الرياسة في القضاء والسياسة))[1].

فلما ولي عباس باشا سنة 1265هـ سعى بعض المشايخ من أصحاب المصالح الشخصية في إبطال هذا الكتاب، وما زالوا يكيدون له عند الوالي ويتّهمونه زوراً بالعظائم حتى نقم عليه وعزله سنة 1266هـ، وولّى مكانه تلميذه الشيخ محمد البنّا، فأقام المترجم معتزلاً في بيته، حتى وافاه الأجل[2].

(1) سعد الله أبو القاسم، رائد التجديد الإسلامي محمد بن العنابي، ص.100.

(2) نفس المرجع، ص.11.

المبحث الثاني: تلاميذه وموقفه من الاحتلال الفرنسي

المطلب الأول: تلاميذه

لقد علمنا من سيرة المفتي بن العنابي، أنه درّس سنين كثيرة بمصر، وهذا ما جعل أن يكون قد تتلمذ على يديه كثير من التلاميذ، وقد جمع الأستاذ محمد زياد بن عمر التكلة أسماء بعض العلماء والمشايخ الآخذين عنه ومن أبرزهم:

1. ***عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب،*** (1)
2. ***ابنه عبد اللطيف عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب،*** (2)
3. ***محمد بن خليل القاوقجي،*** (3)
4. ***محمد بيرم الرابع،*** (4)
5. ***إبراهيم السقا،*** (5)

(1) عبد الرحمن بن عبد اللطيف...، مصدر سابق، ص.ص.78-86 .

(2) نفس المرجع، ص ص.93-99 .

(3) عالم بالحديث وفقيه حنفي من طرابلس الشام، درس بالأزهر ثم عاد لبلده، من مؤلفاته معدن اللآلي في الأسانيد العوالي وربيع الجنان في تفسير القرآن والمقاصد السنية في الآداب الصوفية وتنوير القلوب والأبصار/ينظر: خير الدين الزركلي، **الأعلام (قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين)**، ج6، دار العلم للملايين، بيروت، ط15، أيار(مايو)2002، ص.118.

(4) محمد محفوظ، **تراجم المؤلفين التونسيين**، ج1، دار الغرب الإسلامي، ط2، بيروت، 1994، ص.ص.137-142.

(5) علي بن حسن السقا، فقيه ولد وتوفي بالقاهرة، كان خطيبا بالجامع الأزهر، له عدة مؤلفات منها حاشية على شرح إبراهيم البيجوري لعقيدة محمد السباعي، وله شرح على منظومة محمد بليحة في التوحيد، وله رسالة في الطب النبوي وحاشية على تفسير أبي السعود، وحاشية على شرح القطر في النحو./ينظر:عمر رضا كحالة، **معجم المؤلفين**، ج1، مؤسسة الرسالة، بيروت،1993، ص46. وما بعدها.

6.أحمد بن حسن الرشيدي، [1]

7.أحمد بن يوسف بن يوسف القنياتي، [2]

8.محمد بن محمد مطر العفيفي الشافعي، [3]

9.عبد الرحمن بن عثمان الدمياطي الغمراوي، [4]

10. إبراهيم بن حسن الأسعردي، [5]

11. محمد بن علي الطحاوي، [6]

12. عبد القادر الرافعي الطرابلسي، [7]

13. أحمد التميمي الخليلي مفتي القاهرة المحروسة، [8]

---

(1) طبيب مصري ومترجم كان من طلبة الأزهر، عين مدرسا بمدرسة الطب، من مؤلفاته بهجة الرؤساء في أمراض النساء ونزهة الأقبال في مداواة الأطفال والروضة البهية في مداواة الأمراض الجلدية...،كما ترجم عن الفرنسية التطعيم ضد الجدري والدراسة الاولية في الجغرافيا الطبيعية، وتوفي بالقاهرة 1865/ ينظر:خير الدين الزركلي، **الأعلام (قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين)**، م1، دار العلم للملايين، بيروت، ط7، أيار(مايو)1987، ص.113.

(2) إجازات حديثية جزائرية، مصدر سابق، ص.72.

(3) نفس المرجع، نفس الصفحة.

(4) نفس المرجع، نفس الصفحة.

(5) محمد زياد التكلة، "**ترجمة العلامة المفتي ابن العنابي الجزائري**"، **المكتبة الجزائرية الشاملة**.(على الخط المباشر).تمت الزيارة يوم:2018/05/26، متاح على الانترنت على الرابط الآتي: http://shamela-dz.net/?p=933

(6) أبو القاسم سعد الله، **رائد التجديد الإسلامي محمد بن العنابي**، مرجع سابق، ص.43.

(7) (1832-1905) فقيه حنفي من علماء الأزهر ولد بطرابلس الشام ولي الإفتاء بمصر من مؤلفاته تقرير على الرد المختار وتقرير على الأشباه والنظائر./ ينظر: أحمد العلاونة، **العلماء العرب المعاصرون ومآل مكتباتهم**، دار البشائر الإسلامية، بيروت، 1432-2011، ص.130.

(8) ولد بمدينة خليل رحل لطلب العلم فجاور الأزهر ،أعجب به إبراهيم باشا فعينه مفتيا للحنفية بمصر كما درس بالأزهر من مؤلفاته الرحلة الرومية ورسالة في التصوف وإرشاد الملوك في الوعظ والأخلاق ،توفي في 1239 هـ./ينظر:أحمد أفندي التميمي، **الفوائد الزكية في إعراب الأجرمية**، تح.تع: نهاد عبد الفتاح بدرية وعلي كمال أبو عون، دار الكتب العلمية، بيروت، 1971، ص.ص.14-15-16.

14. ***محمد البنا مفتي الإسكندرية،*** [1]
15. ***علي البقلي،*** [2]
16. ***خليل الرشيدي،*** [3]
17. ***محمد الكتبي،*** [4]
18. ***محمد الملّاح الإسكندري،*** [5]
19. ***محمد بن محمد الشربيني،*** [6]
20. **عبد الله بن نور الدين النهاري اليمني،** [7]
21. **عبد الرحمن المجلد،** [8]
22. **محمد بيرم الرابع**[9].

---

(1) أبو القاسم سعد الله، **رائد التجديد الإسلامي محمد بن العنابي**، مرجع سابق، ص.9.

(2) **إجازات حديثية جزائرية**، مصدر سابق، ص.72.

(3) هو خليل بن محمد بن زهران بن علي الخضيري، فقيه شافعي مصري من بلدة رشيد ،له كتب منها شرح الأربعين نووية والدرر اليتيمة الكاملة المتعقلة بالشهور الثلاثة الفاضلة، توفي في 1882م/ ينظر:خير الدين الزركلي،**الأعلام (قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين)**، ج2، دار العلم للملايين، بيروت، ط15، أيار(مايو)2002، ص.323.

(4) هو محمد بن حسن الكتبي المكي الحنفي شيخ الحنفية بمكة المكرمة العلامة الفقيه له ثبت شهير./ عبد الحي بن عبد الكبير الكتاني، **فهرس الفهارس والأثبات**...، ج1، مرجع سابق، ص.481.

(5) محمد زياد التكلة، "**ترجمة العلامة المفتي ابن العنابي الجزائري**"، **المكتبة الجزائرية الشاملة**. مرجع سابق.

(6) أبو القاسم سعد الله، **رائد التجديد الإسلامي محمد بن العنابي**، مرجع سابق، (ها) ص.45.

(7) نفس المرجع، نفس الصفحة.

(8) هو محي الدين السليمي الحنفي الدمشقي الإمام العالم العامل، ولد بعد الثلاثين وألف، أجازه جماعة من المحدثين منهم بن العنابي وتوفي بدمشق في1140هـ./عبد الحي بن عبد الكبير الكتاني، فهرس الفهارس...، ج2، ص.736-737.

(9) هو الإمام العلامة المسند محمد بيرم المعروف بالرابع المولود بتونس سنة (1220هـ/1805م) والمتوفى بها سنة (1278هـ-1861م) أول من لقب بشيخ الإسلام في تونس كان عالما بالحديث وله اشتغال بالتراجم واهتمام بالأدب من مؤلفاته تراجم خطباء الحنفية والجواهر السنية في شعر المتأخرين وكنانيش كثيرة ومجموعة خاصة في مشايخه وإجازتهم له./ ينظر: عبد الحي بن عبد الكبير الكتاني، **فهرس الفهارس والأثبات**...، ج2، ص.242-243/ وأيضا: خير الدين الزركلي، **الأعلام** ...، ج7، مرجع سابق، ص.74.

هذا و نكتفي بهذا العدد من الأسماء التي ورد ذكرها كون من تتلمذوا على يديه أو أجازهم كثر جدا لا يتسع المقام هنا لذكرهم كلهم، وهو ما جعل مترجمنا يمنح إجازته لأهل عصره مقلدا بذلك أستاذه ابن الأمين في منح الإجازة لأهل العصر، كما نص في إجازته لمحمد بيرم الرابع، وأهم ما ميز إجازات الشيخ بن العنابي هو أنه كان من بين العلماء القلائل الذين يجيزون إجازتهم الأختام لبعض تلاميذتهم، وقد يكون سبب وضع الأختام لتقلده للمناصب الدينية الرفيعة في الدولة[1].

المطلب الثاني: موقفه من الاحتلال الفرنسي

وما تجدر الإشارة إليه أن القضية الجزائرية كانت قد درست في مؤتمر فيينا سنة 1815م ثم أعيد طرحها في مؤتمر إكس لاشابيل عام 1818م، وهكذا في يوم 05 سبتمبر رست سفينتان، الأولى فرنسية والثانية بريطانية، في ميناء مدينة الجزائر بغرض تقديم قرارات مؤتمر "إكس لاشابيل" إلى الداي حسين، ومضمونها إيقاف عمليات "القرصنة" وإلغاء الإسترقاق، غير أن الداي لم يستجب للإنذار الأوروبي ولم يعره أي اهتمام[2]. وفي 25 ماي 1830م انطلقت الحملة الفرنسية الصليبية من ميناء طولون تجاه الشواطئ الجزائرية التي وصلتها يوم 13 جوان 1830م[3] وشرعت في عملية الإنزال مباشرة في اليوم الموالي، وقد واجهتها جيوش الداي حسين بقيادة صهره إبراهيم باشا الذي لم يكن يملك لا الخبرة العسكرية

(1) فوزية لزغم، "**الإجازات العلمية لعلماء الجزائر العثمانية**"، **مخبر مخطوطات شمال إفريقيا**، جامعة وهران–الجزائر، 2009، ص ص.373–374.

(2)Gaîd Miloud, **L'Algérie sous les turcs**, 2éme edition, Edition Mimouni, Alger, 1991, p.205 .

(3)Esquer Gabriel, **les commencements d'un empire, la prise d'Alger 1830**, L'Afrique Latine, Alger ،1923, p.316 .

ولا الحنكة القيادية[1]، وقد انتقد الشريف الزهار هذا القائد غير المناسب بأنه: "**لم يكن قائد ممتاز في يوم من الأيام ولم يعرف الشيء الكثير عن التكتيك الحربي فهو مثل الحمار لا يعرف إلا الأكل والنكاح**"[2]، فكان لزاما أن تنهزم جيوشه وفر مع بعض مقربيه إلى ضواحي التيطري، وكانت لعملية فرار ابراهيم باشا قائد الجيش الجزائري انعكاسات سلبية وخطيرة على معنويات الجيش مما دفع بالداي حسين إلى كسب ود السكان بإستدعاء المفتي الحنفي بن العنابي[3]ليطلب منه جمع الشعب وإقناع الناس بالجهاد دفاعا عن الإسلام والبلاد وقيادة المقاومة لعرقلة تقدم الغزاة الفرنسيين، فقبل بالمهمة وتقدم الصفوف، لكن الأمر كان قد قضي من قبل، وعند الغروب كان الجيش قد اقترب من حصن الإمبراطور[4]، وبهذا فقد حسم الموقف لصالح الفرنسيين، فاضطر الداي إلى توقيع معاهدة الاستسلام، ومباشرة بدأت فرنسا في مشروعها الاستعماري الهادف إلى تحطيم أركان الدولة الجزائرية[5]، ومن بين أهم المؤسسات التي مسها هذا العدوان المؤسسات الوقفية التي نظرت إليها سلطات الاحتلال بأنها إحدى العراقيل الحائلة دون تحقيق سياسة التوسع الاستيطاني التي كانت تسعى إلى التمكين لها، وتنافس المبادئ الاقتصادية التي تروج لها، حيث أن الوقف في حد ذاته جهاز إداري ومؤسسة اقتصادية فعالة تحول دون المساس بالمقومات الاقتصادية والعلاقات الاجتماعية للجزائريين، وقد كان الاستعمار الفرنسي يدرك دور الأوقاف في بناء وحدة الأمة ورعاية عقيدتها

(1) خوجة حمدان بن عثمان، مصدر سابق، ص.193.

(2) الزهار، مصدر السابق، ص.163.

(3) محفوظ قداش، **الجزائر للجزائريين، تاريخ الجزائر (1830-1945)**، ت:محمد المعارجي، المؤسسة الوطنية للإتصال النشر
والإشهار، الجزائر، 2008، ص ص.22،21.

(4) محمد بن عثمان خوجة، مصدر سابق، ص160.

(5) محمود أحمد المهدي، **نظام الوقف في التطبيق المعاصر**، مكتبة الملك فهد الوطنية، جدة، 1423هـ، ص.33.

من خلال مؤسساتها التعليمية والاقتصادية والاجتماعية[1]، كل هذا جعل فرنسا تسعى جاهدة لاستصدار جملة من القوانين والنصوص التنظيمية من اجل رفع الحصانة عن الأملاك الوقفية قصد إدخال هذه الأملاك في نطاق التعامل التجاري والتبادل العقاري كي يسهل على المستوطنين امتلاكها، وقد كان لها ذلك بإصدار "دي برمون" لمرسوم 08 سبتمبر 1830م القاضي بمصادرة الأوقاف (الحبوس) والاستيلاء عليها لتصبح ممتلكات خاضعة لإدارة الاحتلال وله حق التصرف فيها[2]، ليصدر في اليوم الموالي قرارا آخر يعطي من خلاله الحق لنفسه في التسيير والتصرف للأملاك الدينية بالتأجير والكراء، وتوزيع الريوع على المستحقين والتي تمت لحساب الحكومة الفرنسية[3]، كما اصدر مرسوم آخر في: 07 ديسمبر 1830م يقضي بالسماح للأوربيين بامتلاك أراضي الوقف، وقد طلبت السلطات الفرنسية من المفتي ابن العنابي التعاون معها فرفض، بل تزعم حركة المعارضة لنزع الممتلكات الإسلامية التي تحويلها إلى ثكنات ومستشفيات، وذلك بعد إصدار الفرنسيين لهذه القوانين الجائرة التي تقضي بحق التصرف التام في الأملاك الدينية بالتأجير أو الكراء أو حتى البيع أو الهبة[4]، كما دنسوا المقابر، واستخدموا الجثث والعظام في تصنيع الكربون، ودمروا المنازل لبناء قواعد عسكرية[5]، وقد كاتب الجنرال كلوزيل عدة مرات في هذا الشأن[6]، حيث اتسمت لهجته بالنقد للسلطات الاستعمارية على خرقها للاتفاق الموقع بين الداي حسين والكونت دي بورمون وخاصة

(1) عبد الرحمان الجيلالي، **تاريخ الجزائر العام**، ج3، ط7، د.م.ج، الجزائر، 1994، ص.423.

(2) جمال قنان، **نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر الحديث1500-1830**، دار الرائد، الجزائر، 2010، ص.68.

(3) خالد رمول، **الإطار القانوني والتنظيم لأملاك الوقف في الجزائر**، دار هومة، الجزائر،2004، ص.14.

(4)Bigenet(E) : **Une lettre du bey de constantine 1827**; in R.A, V°43,(1899) .P189

(5) Abdel Kader Djeghloul ;**De Hamdan Khodja a Kateb yacine** ,Dar El Gharb ,Oran-alger, 2009 ,P11.

(6)Clauzel, **Observation du général Clauzel sur quelques actes de son gouvernement d'Alger**, Paris, 1831, p108.

المادة الخامسة (05) منه[1](**أنظر الملحق رقم:05**)، ثم بدأ بعد عدم استجابة السلطات الفرنسية لمطالبه، بدأ بمراسلة زعماء القبائل يحثهم على الثورة والمقاومة والجهاد ضد الكفار، وقد تفطنت له السلطات الاستعمارية، وقد أكد ذلك بن العنابي نفسه بعد نفيه[2]، فتم توقيفه وسجنه بأمر من الجنرال الفرنسي كلوزيل(Closel) بدعوى تدبير مؤامرة ضد الفرنسيين وإعادة الحكم الإسلامي للجزائر، وتعرّضت أسرته للاضطهاد والإهانة وأمر الجنرال الفرنسي كلوزيل بنفيه فوراً، ولم يُمهله وقتاً كافياً لترتيب أموره، فاضطر المترجم للرحيل مجبرا على العودة إلى الإسكندرية[3]، ولم يحصل له صديقه حمدان بن عثمان خوجة على مهلة عشرين يوما من أجل بيع أملاكه وتصفية ديونه إلا بصعوبة كبيرة، ليترك وطنه لآخر مرة ذهابا بلا عودة سنة (1247هـ/1831م) وانتهى إلى مصر، فأقام بالإسكندرية مرة ثانية.

وبنفي المفتي محمد بن العنابي أسدل الستار على نشاطه، وفقدت الجزائر واحدًا من الشخصيات المهمة والمؤثرة، فتوجه بأسرته إلى مصر وأقام بالإسكندرية وهناك ولاه "محمد علي" وظيفة الفتوى الحنفية ولا زالت عائلة بن العنابي بالإسكندرية إلى اليوم وتعرف بأسرة " الجزائرلـــي" وبقي فيها حتى وفاته سنة 1851م.[4]

وقد ذكر أيضاً أن من بين أسباب ترك المترجم لبلده الجزائر تخوفه من وشايةِ مبغضيه واختلاقِهم رسائلَ على لسانه ضد الفرنسيين؛ فقد كان هو منشغلاً بالتحريض على جهاد المحتلّ الصليبيّ، وهؤلاء يستغلون تسلُّط العدو ويضعون أيديهم في يده لتحقيق مصالحهم الدنيوية

(1) علي أجقو، "المفتي الحنفي الجزائري ابن العنابي واسهاماته..."، مرجع سابق، ص.11.

(2) أبو القاسم سعد الله، **الحركة الوطنية الجزائرية 1830-1900**، ج1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1992، ص.108.

(3) أبو القاسم سعد الله، **رائد التجديد الإسلامي محمد بن العنابي**، مرجع سابق، ص.11.

(4) نفس المرجع، ص.35.

وتثبيت أركانهم والتخلُّص من المكدِّر عليهم صفوهم، حتى لو كان أحد رؤوس الأمة والمخاطرين بحياتهم لأجل نصرتها[1].

وبهذا يكون المفتي بن العنابي أول من نفته السلطات الفرنسية بعد الاحتلال مباشرة[2]،

وعلى إثر إبعاد مفتيي العاصمة الشيخين مصطفى بن الكبابطي المالكي ومحمد بن العنابي الحنفي، وبنفيهما إلى المشرق ادعت الحكومة الفرنسية فقدانها لصكوك الأوقاف وضياع سجلاتها[3].

المطلب الثالث : شخصيته

ينتمي المفتي محمد بن العنابي إلى أسرة جزائرية ذات مكانة فكرية ودينية وسياسية معتبرة[4]، وقد نشأ وسط بيئة محافظة وعريقة فأبوه وأجداده كانوا من قائمة المفتين الأحناف[5]غير أنه ربما من سوء حظ هذا العالم البارز أنه عاصر فترة حرجة من تاريخ العالم الإسلامي عامة والجزائر خاصة، حيث عم الانحطاط والتدهور جميع المجالات، وخاصة السياسية والعسكرية منها، مما أدى إلى تكالب القوى المسيحية على الجزائر، فكان لذلك تأثير على نفسية وشخصية بن العنابي[6].

وأهم ما ميز شخصية المفتي بن العنابي هو رحابة صدره ونقاء سريرته وصفاؤها وعدم أنانيته، ويتضح ذلك جليا من خلال الموقف الذي اتخذه مع ابن وطنه المفتي المالكي مصطفى بن الكبابطي عندما تم نفيه من طرف المحتل الفرنسي نتيجة لمواقفه منه، حيث قام بتغليب

(1) أبو القاسم سعد الله، **رائد التجديد الإسلامي محمد بن العنابي**، مرجع سابق، ص.11.

(2) نفس المرجع، ص.35.

(3) عبد الرحمان الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، ج4، مرجع سابق، ص.442.

(4) آسيا تميم، **شخصيات جزائرية 100 شخصية**، دار المسك، الجزائر، د س، ص.09.

(5) محمد الشريف سيدي موسى ومسعود كواتي، **أعلام مدينة الجزائر ومتيجة، دار الحضارة**، الجزائر، 2007، ص.256.

(6) محمد بوشنافي، مرجع سابق، ص ص.227-228 .

المصلحة العليا كأبناء وطن واحد في المنفى على حساب المصلحة الشخصية الضيقة إذ أحس بمعاناته وهو ما جعله يسعي سعيا حثيثا من أجل التوسط له عند محمد على باشا ليضمن له راتبا شهريا[1]، ضاربا بذلك مثلا رائعا عن سماحة قلبه وسمو أخلاقه وارتفاع مكانته وذلك بالرغم من اختلاف مذهبيهما.

كما عرف عنه عندما كان قاضيا، وبالرغم من عدم تجاوزه العشرين (20) سنة، أنه كان مناصرا للحق، عادلا في حكمه غير جائر ولا منحاز فيه، يقضي بما جاء في الشرع الحكيم لا يخشى في تطبيق شرع الله حتى الداي نفسه، وما الموقف الجليل والنبيل الذي اتخذه برفضه لأمر الداي واستقالته من منصبه عندما أراد إلزامه بأمر مخالف للشرع إلا دليلا على تقواه وورعه وقوة شخصيته وعدم سعيه للسلطة والجاه، وبالمقابل نجد فئة من العلماء إكتبست امتيازات، بفضل توليها للتدريس والمهام القانونية والشرعية، لكنها أساءت لنفسها ببحثها عن الغنى والمتعة[2].

نادى الشيخ محمد بن العنابي وبجرأة كبيرة بضرورة تقليد الأوروبيين في مبتكراتهم وصناعاتهم وتقنياتهم وأسلحتهم، كما نادى بالتفوق عليهم في العلوم التي تفوقوا فيها لأن ذلك من صميم الدين الصحيح، أما الانغلاق والافتخار لما فعل السلف وتجنب ما ابتدعه الأوروبيين بدعوى انه عمل النصارى فهو ليس من الدين في شيء وليس من الرجولة كما قال، ولو أن حكام الجزائر أخذوا برأي بن العنابي وسار حسين باشا فيها سيرة محمد علي في مصر لما جرى ما جرى سنة 1830م [3].

(1) علي أجقو، "**المفتي الحنفي الجزائري ابن العنابي وإسهاماته...**"، مرجع سابق، ص.9.

(2) أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج1، مرجع سابق، ص.439.

(3) نفس المرجع، ص ص.452-453 .

المبحث الثالث: محنته ووفاته والثناء عليه

المطلب الأول: محنته وعزله من القضاء

كثيراً ما يتعرض المُصلح للابتلاءات والمكايد، ولا سيما إن عظمت رتبته في العلم وكانت له مكانة ورياسة، وكان قويًّا في مواقفه وإنكاره على المتسترين بالدين لأمورهم ومنافعهم الخاصة، وقد اجتمعت لِمُصْلِحنا المترجَم الأمورُ الثلاثة.

ولهذا لا يُستغرب إذا عُلم أن بعض مشايخ عصره آذوه وكادوا له حتى آخر عمره واتهموه بما يُتّهمُ به أمثالُه المصلحونَ الداعون للسنّة، فقالوا : إنه خارجي زنديق! يسعى لضعف الديانة المحمدية ودُروسها![1]، وقد ذكر ذلك عبد الحميد بك أنهم "**لم يكتفو بالقول، بل سعوا ضدّه عند الحاكم إلى أن عزله!**"[2]، وقال: ((وقصدُهم في ذلك ارتزاقهم من الفتاوى على الاختلاف في المذاهب وأقوالها))[3].

والجدير بالذكر أن الكثير من علماء ذلك الزمان من أوجس خيفة من الاتصال بعلم الغرب، لا استنكار لذلك العلم في حد ذاته ولكن إشفاقا مما يؤدي إليه الاتصال من النتائج الوخيمة، فاتخذوا خطة سلبية وسمها من درسها من الأوروبيين باسم "الخطة الوهابية"، وقد روى مؤرخ الحروب الصليبية "ميشو" في رسائله من مصر سنة 1831م في حديثه مع عالم من هذا الطراز وهو مفتي المنصورة، قال المفتي: "إن مثل الشرقيين في محاكاتهم الغربيين والنقل عنهم مثل الرجل الكفيف الذي ارتطم في وهدة يدعوا المارة إلى مده بقبس من النار، وماذا ينفعه القبس؟ أنتم معشر الغربيين تتهمون الشرقيين بأنهم جامدون وأنهم حيث كانوا، ولكنكم أنتم لا تعرفون متى وأين تقفون، وبذلك تذهبون إلى أبعد مما تقصدون،

(1) أبو القاسم سعد الله، **رائد التجديد الإسلامي محمد بن العنابي**، مرجع سابق، ص.11.

(2) عبد الحميد بيك، مصدر سابق، ص.190.

(3) نفس المرجع، نفس الصفحة.

وعندي أن مجاوزة الهدف أسوأ من العجز عدم بلوغه، هذه مثلا نظرياتكم السياسية الجديدة، هل نفعت عامتكم حقا؟ أ نشرت النور؟ لا لم تؤد- فيما سمعت- إلا إلى الثوران والاضطراب، فما أشبه مدينتكم بتلك الوسائل المتخمرة التي تحطم الإناء الذي نصبها فيه"[1].

وهذا المستشرق "لين" يصور لنا سوء ظن العامة بمن عاشر الأوروبيين من المسلمين، قال: "كنت جالسا عند أحد بائعي الكتب فأتى رجل يطلب نسخة من رحلة رفاعةٌ فسأل أحد الحاضرين عما في هذا الكتاب، فتطوع رجل لإجابته بطريقة تهكمية تبين رأي العامة فيه، قال ذلك المتطوع: أنا أقص عليك نبأ هذه الرحلة بالحق، إنها تحتوي على وصف سفر رفاعة من الإسكندرية لمرسيليا وعلى ما جرى له في أثناء هذا السفر عندما سكر وعربد، عند ذلك أمر الربان بشد وثاقه إلى صاري السفينة وجلده، ثم نزل بلاد الإفرنج حيث طاب له لحم الخنزير ومعاشرة النساء الإفرنجيات، ثم بعد أن ارتكب من الموبقات كل ما يعد له مقعده من النار عاد إلى مصر"[2].

وأسباب عزله كما أوضحناه سابقا، هو أن المشكلات كثرت من أصحاب الدعاوى بسبب انحراف المفتين و تماديهم في طلب الرشاوى وذلك على اختلاف مذاهبهم، فأدى هذا الأمر إلى تضايق وتذمر محمد علي باشا أواخر أيامه، وربما تخوفه من اضطراب الأوضاع الأمنية والاجتماعية بسبب سقوط هيبة المفتين و القضاة لدى العامة، فطلب من المترجم أن يؤلف كتاباً يجمع فيه ما رجح من أقوال الأئمة الأربعة ويُعتمد في القضاء، فألّف كتاب: (صيانة الرياسة في القضاء والسياسة)، إلا أنه بمجرد ما ولي عباس باشا سنة 1265هـ سعى بعض المشايخ من أصحاب المصالح الشخصية في إبطال هذا الكتاب، وما زالوا يكيدون له عند الوالي

(1) محمد شفيق غربال، **محمد على الكبير**، د.ط، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، 2014، ص.62.
(2) نفس المرجع، نفس الصفحة .

ويتّهمونه زوراً بالعظائم حتى نقم عليه وعزله سنة 1266هـ، وولّى مكانه تلميذه الشيخ محمد البنّا، فلزم المفتي بيته معتزلاً العامة حتى وافاه الأجل[1].

والحقيقة أن عباس باشا لم يظلم بن العنابي فقط، بل ظلم الكثير من المصلحين أمثاله حتى أنه قال فيه أحد المؤرخين: "**كان عباس حاكما مستبدا عدوا لكل حركة إصلاح يستند في حكمه إلى قوتين: الرهبة، والجمود**"[2]، ثم يضيف أيضا: "**أن من أول مظاهر الجمود إغلاق المدارس التي شيدها جده وإبطال المصانع والمعامل**"[3]، في حين ذهب مؤرخ آخر بأنه لما ولي مصر انصرف إلى اللهو، وأهمل الحكم، وكان يتحرك برأي القنصل الإنكليزي[4].

المطلب الثاني: وفاته

توفي المفتي الجزائري محمد بن العنابي رحمه الله تعالى مغربا عن وطنه في صمت بمنزله في عزلة تامة لا يتصل به أحد إلا المقربين من أبناء بلده، متفرغا للتأليف والرد على الفتاوى التي كانت تأتيه من حين لآخر، وذلك في ربيع الآخِر من سنة (1267هـ/فيفري1851م)، وهو التاريخ الذي يكاد يجمع عليه المؤرخون، في حين يذهب إسماعيل باشا البغدادي "**أن كتاب الجوهر الفريد في علم التجويد فرغ من كتابته بخطه 1285هـ خمس وثمانين ومائتين وألف**[5]"، مع العلم أنه الوحيد الذي ذكر أنه كان حيا إلى

(1) أبو القاسم سعد الله، **رائد التجديد الإسلامي محمد بن العنابي**، مرجع سابق، ص.11.

(2) محمد صبري، **تاريخ مصر من محمد على إلى العصر الحديث**، ط 2، مطبعة مدبولي، القاهرة، 1417هـ- 1996م، ص.80.

(3) نفس المرجع، ص.81.

(4) محمود شاكر، **التاريخ الإسلامي-العهد العثماني-**، ج8، ط3، المكتب الإسلامي، بيروت، 1991، ص.498.

(5) إسماعيل باشا البغدادي، **هدية العارفين أسماء المؤلفين وأثار المصنفين**، م2، المطبعة البهية لوكالة المعارف الجليلة، استانبول، 1955، ص.378.

غاية هذا التاريــخ فيما توفر لي من مراجع، وما تجدر الإشارة إليه أنه من خلال الرسالة التي بعث بها محمد بيرم الرابع إلى المفتي بن العنابي يوصيه خيرا بأحد العلماء المغاربة، نقف على ثلاث ملاحظات هامة:

1. تضمنت الرسالة عبارة "**كتب الله لكم الشفاء**"[1]، وبما أن الرسالة قد كتبت "**سنة نيف وستين ومائتين**"[2] على حد قوله أي قبل وفاته بقليل، مما يجعلنا أمام فرضية أنه اشتد عليه المرض وكان هذا المرض سببا في وفاته.
2. إذا تأملنا بيت الشعر الذي استشهد به جيدا وربطناه بالأحداث التي حلت بالمفتي بن العنابي والذي جاء فيه:

سلوا عن مودات الرجال قلوبكم فتلك شهود **لم تكن تقبل الرشا**[3]

نستنتج أن الألفاظ والعبارات التي جاءت في الأبيات لم يكتب عبثا أو اعتباطا من طرف علامة تونس محمد بيرم الرابع إنما أختيرت بدقة متناهية حيث هي في الأصل كتبت لغاية وهي مواساة للمفتي بن العنابي على الحملة الشرسة التي أعلنت عنه من قبل مشايخ العقول المتحجرة والمتزمتة لما اتهموه بالزندقة بعد صدور كتابــه "صيانة الرياسة ببيان القضاء والسياسة "، والدليل قوله " فتلك قلوب لم تكن تقبل الرشا" باعتبار أن من قبلوا الرشاوي هم المشايخ الذين حاربوه وكادوا له عند عباس باشا، حيث في هذه الحالة قد يكون تم عزله، أو أن العلاقة ساءت بينه وبين الحاكم وهو في طريق العزل.
3. أنه بالرغم من مرضه وما حدث له مع عباس باشا فإنه بقي صاحب رأي سديد ومشورة ثاقبة وكلمته مسموعة ونافذة وهمته عالية وطلباته مجابة بدليل قول

(1) أبو القاسم سعد الله ، **رائد التجديد الإسلامي محمد بن العنابي**، مرجع سابق، ص.126.

(2) نفس المرجع، نفس الصفحة.

(3) نفس المرجع، نفس الصفحة.

"محمد بيرم الرابع" "**فلا بأس بالتفاف همتكم إليه بوصاية به تنفعه، أو مكتوب فيما يكسبه هيبته من تلقائكم يرفعه**"[1].

والذي لا يختلف عليه إثنان هو أنه مات عن عمر ناهز سبع وسبعين سنة أفناه في خدمة بلده الجزائر مدافعا عنها ومناهضا للاحتلال الفرنسي والسياسة الاستعمارية التي انتهجتها فرنسا، وتاركا بصمته كمصلح من أوائل المصلحين في العالم العربي والإسلامي، بل ومن السباقين في عصره بلا منازع، خاصة في المجال السياسي والعسكري، إضافة إلى فكره الإصلاحي في المجالين الديني والاجتماعي وذلك في مدينة الإسكندرية بمصر، وهي المدينة التي اختارها لمنفاه بعيدا عن وطنه وأهله، وقد أرَّخ وفاته الشاعر محمد عاقل بقوله: "اليوم رمس مفتي الإسكندرية"[2]، وبموته فقد العالم الإسلامي عامة والجزائر خاصة عالما من العلماء الأفذاذ والقلائل الذين كانت لهم الجرأة بفضل علمه وتبحره في مختلف العلوم معتمدا على القياس من القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، مدعما أفكاره بالحجج والبراهين من طرق باب الاجتهاد والتجديد لهذا الدين الذي ظل مغلقا لقرون لم يستطع أن يقربه من كان قبله من العلماء أو معاصريه إلا من بعض المحاولات القليلة والمحتشمة، حاملا بذلك لواء الإصلاح والتجديد، كما كان له كامل الفضل في أن يحذوا حذوه من جاء بعده من العلماء فاتحا طريق الإصلاح والتجديد أمامهم على مصراعيه.

وبالرغم من رحيله إلا أن ذكراه الطيبة ومؤلفاته تأبى أن تنسى ذكره ما دامت كتبه وأفكاره تتدارسها الأجيال، ولله در الجاحظ حين قال: "**يذهب الحكيم وتبقى كتبه، ويذهب العقل ويبقى أثره...**"، كما قد أوجز ذلك "موفق الدين البغدادي" في هذا الشأن أيضا بقوله: "**العلماء لا**

(1) أبو القاسم سعد الله، **رائد التجديد الإسلامي محمد بن العنابي**، مرجع سابق، ص.127.
(2) نفس المرجع، ص.53.

يموتــون أبـدا وإنـهم يخلـدون في أعمالـهم ومؤلفاتهم وآثـارهم الباقيـة وعلمهم النافع، والعالم الحق من يضع لبنة في بناء العلم العظيم"[1].

وقـد بقيـت سـلالة وذريـة بـن العنـابي حتـى اليـوم بالإسـكندرية، وتُعـرف بأسـرة المفتـي الجزائرلي[2]، (فرحِمَهُ الله تعالى وأسكنه فسيح جنانه).

ومن خلال ما تم ذكره نجد المفتي بن العنابي قد قام بدوره الديني والسياسي على أكمل وجه، حيث لعب الدور الأول وهو يباشر وظيفة الإفتاء ويتصدر للتدريس ويمنح الإجازات لتلاميذه والمعجبين بعلمه، أما الدور السياسي فيتمثل بصلته بدايات الجزائر وفي موقفه من الاحتلال الفرنسي لبلاده، إذ حمل مع عالم آخر وهو مفتي المالكية بن لكبابطي لواء المقاومة الثقافية للاحتلال الفرنسي، الذي عندما عجز عن إسكات صوتيهما اللذان كانا يصدحا بالحق أمام نظام محتل، وحكم جائر، وأيضا إخفاقـه في احتوائهما بالمنـاصب وأنـواع الإغراءات الأخرى ، أقدم على نفيهما وإبعادهما من الجزائر إلى مصر[3].

المطلب الثالث: رثاؤه والثناء عليه

تنوعت عبارات الثناء والمديح على المفتي بن العنابي من جلّة من العلماء ممن عاصروه وجاءوا بعده، فيها إبراز لمنزلته الرفيعة ومكانته الكبيرة، فمن عبارات العلماء في مدحه والثناء عليه وتوثيقه ما قاله عنه تلميذه الشيخ عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ: "**لقيت بمصر مفتي الجزائر محمد بن محمود الجزائري الحنفي الأثري فوجدته حسن العقيدة طويل الباع في**

(1) علي عبد الفتاح، **أعلام المبدعين من علماء العرب والمسلمين**، ج1، دار بن حزم، بيروت، 1431هـ-2010م، ص.81.
(2) سعد الله أبو القاسم، **رائد التجديد الإسلامي محمد بن العنابي**، مرجع سابق، ص.42.
(3) علي أجقو، "المفتي الحنفي الجزائري ابن العنابي واسهاماته ..."، مرجع سابق، ص.9.

العلـوم الشرعيـة"[1]، لينسبه بعدها للمصريين واصفا إياه بعبارة "**ومن المصريين الشيخ العلامة محمد بن محمود بن محمد الجزائري الحنفي...وغيرهم من علماء مصر الأعلام**"[2]، وبطبيعة الحال يقصد هنا أنه نزيل مصر، ولو أراد خلاف هذا الرأي ما قال عنه في نفس الفكرة "الجزائري"

وقال عنه أيضا في كتابه مصباح الظلام: "**وقد شهد أهل العلم والفضل من أهل عصره**"[3]، لينعته أيضا بأنه: "**من أكابر أهل عصره**"[4]، كما زاد في مدحه واصفا إياه أنه: "**من الفضلاء والأذكياء**"[5].

وقد نوه به عبد الحميد بك في تاريخه قائلا: "**وكان رحمه الله تعالى إماماً فاضلاً، عارفا بالعبادات والأحكام في المذاهب الأربعة على اختلافها، واختلاف أقوالها، والراجح منها، والضعيف فيها، وعالماً في باقي المنقول والمعقول، والسياسات العمومية والخصوصية الخارجية والداخلية، وله إنشاءات وشعر**"[6].

ووصفه تلميذه إبراهيم السقا بـ: "**كشاف الحقائق، ومنبع الرقائق والدقائق، شيخنا المحفوف باللطف الخفي، محمد بن محمود بن محمد الجزائري الأثري**".

---

(1) عبد الرحمن بن عبد اللطيف بن عبد الله آل الشيخ، مصدر سابق، ص.90 .

(2) نفس المصدر، ص.94 .

(3) عبد اللطيف بن عبد الرحمان بن حسن آل الشيخ، **مصباح الظلام (في الرد على من كذب على الشيخ الإمام ونسبه إلى تكفير أهل الإيمان والإسلام)**، مطبوعات وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، السعودية، 1424هـ-2003م، ص.92.

(4) نفس المصدر، ص.93.

(5) نفس المصدر، نفس الصفحة.

(6) عبد الحميد بيك، مصدر سابق، ص.190.

وقال محمد بيرم الرابع: "**إلى حضرة وحيد زمانه، العالم الكبير، والرئيس النحرير، والمقدّم في الفتيا الحنفية بالمشرق بلا نكير، شيخ الإسلام أبي عبد الله سيدي محمد بن محمود العنابي، المفتي الآن بثغر الإسكندرية**"[1].

كما وصفه بالعلامة حيث قال عنه: "**شيخنا العلامــة أبي عبد الله محمد بن حسين الشهير بابن العنابــي مفتــي الحنفيــة بثغر الإسكندرية**"[2].

وقال أيضاً في أبيات يمدح بها شيخه المترجَم:

هُمامٌ لـه حـول السِّماكَـيـن مـنـزل إمامٌ بتحقيق العـلـوم خبيـرُ

بــه كُسِيَ الإسـلامُ حُـلَّــةَ مجْـدِهِ وأضحى له فخرٌ به وسرورُ

إذا حَـوَّم الظمــآنُ حـولَ عُلومه يُصادفُــه ماءٌ هنـاك نمَيـرُ

ولو قيل: مَنْ حازَ العُلوم بأَسْرِها؟ إليه جميـعُ العـالمين تشيرُ

وقال أيضاً في تقريظه لشرح شيخه المترجَم علي (الدر المختار): "**العَلَم النحرير، رضيع لبان العلم والتحرير، مجمع بَحري المعقول والمنقول، كشاف مخدَّرات الفروع والأصول...من بيت علم دعائمه أعز وأطول وأساسه أحكم وأكمل، بناه منسمك السماء، وكان عرشه على الماء، وحيث كان منشيه العَلَم الأوحد، والطود المُفْرَد**"[3].

كما وصفه معاصره "حمدان خوجة" بقوله "إن شيخ الإسلام رجل عادل، فاضل"[4].

(1) أبو القاسم سعد الله، **رائد التجديد الإسلامي محمد بن العنابي**، مرجع سابق، ص.126.

(2) أبو عبد الله محمد بن عثمان السنوسي، مرجع سابق، ص.39.

(3) أبو القاسم سعد الله، **رائد التجديد الإسلامي محمد بن العنابي**، مرجع سابق، ص ص.124-125.

(4)حمدان بن عثمان خوجة، مصدر سابق، ص 160.

وقد أثنى عليه شيخ المؤرخين بأن خصه بكتاب كاملا سماه من خلاله "رائد التجديد الإسلامي"، ومما جاء فيه قوله: "**والواقع إنني بعد أن درست ابن العنابي تأكدت أنه يحق للجزائر الحديثة أن تفخر به وبأمثاله كحمدان خوجة الذين سبقوا علماء العربية والإسلام في طرح قضية التجديد والإصلاح الاجتماعي والسياسي قبل أن يطرحها أمثال الطهطاوي والأفغاني ومحمد عبده**"[1].

وقال عنه محمد المرسي: ((شيخنا وأستاذنا العالم الرباني))[2].

وقال عنه إبراهيم بن صالح بن عيسى في عقد الدرر: ((الشيخ العالم العلامة مفتي الجزائر))[3].

وقال فيه عبد الستار الدهلوي في فيض الملك الوهاب المتعالي: (العالم الفاضل، صاحب التآليف النافعة))[4]، ووصفه في موضع آخر: بالعلّامة.

ومهما قال عنه معاصروه من رجال العلم والمشايخ وحتى من جاءوا بعده، فإنهم لم ولن يفوه حقه، ولكن يكفي مفتينا فخرا أن أعظم شخصية في عصره وهو "محمد علي باشا" أنصفه وقام بتقديمه على كوكبة من علماء مصر لمنصب الإفتاء الحنفي لمدينة الإسكندرية، والذي هو منصب من أعظم المناصب في ذلك العصر وأجلها، وهي تزكية صريحة من أعظم شخصية سياسية وعسكرية عربية قامت بتأسيس الدولة المصرية الحديثة التي لا تفوقها سوى الدولة العثمانية والتي لم تسلم من تهديده هي الأخرى، حيث اقتطع منها أجزاء كبيرة، وقد اعتمد محمد

(1) أبو القاسم سعد الله، **رائد التجديد الإسلامي محمد بن العنابي**، مرجع سابق، ص.17.

(2) محمد زياد التكلة، "ترجمة العلامة المفتي ابن العنابي الجزائري الأثري"، الألوكة الثقافية.(على الخط المباشر).تمت الزيارة يوم:2018/02/06، متاح على الانترنت على الرابط الآتي: http://www.alukah.net/culture/0/2986/

(3) نفس المرجع.

(4) نفس المرجع.

على باشا على مؤلفات مفتينا من أجل إرساء قواعد حكمه خصوصا كتابي "السعي المحمود في نظم الجنود" و"صيانة الرياسة ببيان القضاء والسياسة"، واللذين بإستصدارهما نال حظوة ومكانة كبيرتين لدي والي مصر "محمد علي باشا" وأصبح عنده مسموع الكلمة ومجاب الطلب.

إلا أن مشروع دولة مصر الحديثة والتي كان مفتينا فاعلا أساسيا في تحقيقه سرعان ما فشل بعد أن وقفت دول أوروبا حائلا دون إستمراره .

وعلى الرغم من هذا الثناء الكبير والكثير على المفتي بن العنابي، إلا انه لم يسلم من النقد، فقد أشيع عنه انه خارجي زنديق[1]، و يرجع المؤرخ أبو القاسم سعد الله سبب ذلك بأنه كان ضحية فكره ومساعيه من أجل تحرير قومه من الخرافات والأوهام والتخلف، وهو أيضاً ضحية الاحتلال الفرنسي لبلاده[2].

والحقيقة أنه إذا لم يستطع علماء عصره مجاراته والوصول إلى مستوى علمه وفكره فإنهم حتما سيكيدون له ويتهمونه بالكفر ويرموه بالزندقة، والغريب في الأمر أنه قد حدث لشيخ الحنفية الإمام أبو حنيفة موقفا مماثلا والذي شهد له بعلمه وتقواه أعداؤه ومعارضوه قبل أصدقائه حيث "**تعصب ناس عليه فرموه بالزندقة، والخروج عن الجادة، وإفساد الدين، وهجر السنة، بل مناقضتها، ثم الفتوى في الدين بغير حجة ولا سلطان مبين، فتجاوزوا في طعنهم حد النقد ولم يتجهو إلى أرائه بالفحص والدراسة، ولم يكتفو بالتزييف لها من غير حجة ولا دراسة، بل عدوا عدوانا شديدا ، فطعنوا في دينه وشخصه وإيمانه**"[3].

فالمفتي بن العنابي وإن وافق طرحه دعاة التغريب في بعض المسائل، فإن ذلك لا يعني أنه تغريبي، بل غاية ما يقال إنه مجدد ومجتهد وافق اجتهاده في بعض الأحيان مقولات التغريبيين، لكن ذلك لا يُخرج رأيه عن أراء أهل السنة بأيّة حال.

(1) أبو القاسم سعد الله، **رائد التجديد الإسلامي محمد بن العنابي**، مرجع سابق، ص.11.

(2) نفس المرجع ، ص.أ (مقدمة ط2).

(3) محمد أبو زهرة، **أبو حنيفة (حياته وعصره-آراؤه وفقهه)**، ط2، دار الفكر العربي، القاهرة، 1955، ص.07.

خـــاتـــمـــــة

من خلال ما تقدم عرضه يمكن نخلص إلى جملة من النتائج أهمها:

أن المفتي بن العنابي لم يكن لأحد له الفضل عليه فيما تقلده من مناصب، حيث نالها كلها بعلمه الغزيـر ومعرفتـه بالعبـادات والأحكـام في المذاهب الأربعـة على اختلافها، واختلاف أقوالها، والراجح منها، والضعيف فيها، وعالماً في باقي المنقول والمعقول، والسياسات العمومية والخصوصية الخارجية والداخلية، فهو ملما بالسياسة الشرعية والعقلية، ولو كان خلاف ذلك صحيحا ما تقلد التدريس بالأزهر والإفتاء بمصر زمن محمد علي باشا، كما أن ما ذهب إليه الكثير من المؤرخين في أن أسرته توارثت المناصب الفقهية في الجزائر العثمانية ليس صحيحا، فلو كان حقيقة متوارثا لبقيت سلسلة التعيينات متصلة ولما وقع فيها انقطاع، زيادة على إنهاء مهام البعض ثم تعيينهم من جديد، بالإضافة إلى كل من تم تعيينهم كانـوا من العلمـاء وأهل اختصاص، مما يدل على أن هذه الرتب والوظائف لم ينالوها حظـوة أو محاباة، فقد كانوا أهلا لها وتقلدوها عن جدارة واستحقاق.

يعد المفتي بن العنابي من أوائل رجال الفكر والإصلاح في العالم الإسلامي الذين ميزوا بدقة بين منتجات الحداثة المادية التي يجوز برأيه نقلها وبين أفكار الحداثة أو ما يسميه «السياسة العقلية» التي لا يحل لنا اقتباسها، لكون التشريع والسياسة من وضع الشارع جل شأنه، وعليه فإن ما عليه الكفرة من سياساتهم العقلية فنحن في غنى عنه بحسب قوله.

لقد عاش المفتي بن العنابي مرحلة ارتقاء ونهضة الحضارة الغربية في شتى المجالات مما أكسبها الريادة ومنحها الغلبة في حروبها مع المسلمين، وبالمقابل عايش واقعا كارثيا للمسلمين غلبت عليه الفتن الداخلية، وتنازع الأهواء فيما بينهم، مع غياب في أسس نظام الحكم، زيادة على التخلّف العلمي، نتيجة جمود العقل، والتخوف من طرق باب الاجتهاد، مكتفين بما قدمه السلف، من أفكار وآراء تولدت خلال عصرهم الذي عاشوه.

قناعتـه بـأن بـلاده الجزائـر ما كانت لتسقط في يد المحتل لو أنها أخذت بأسباب القوة التي نادى بها، كما كان للضعف الذي تعيشه الدولة العثمانية، والصراعات والفتن الداخلية سببا في التفريط بالجزائر مع غيرها من بلاد المسلمين المنضوية تحت لوائها.

توصله إلى أن سبب هذا التحرش والتهديد على البلاد الإسلامية من طرف دول الغرب المسيحي ما كان ليحدث لو أخذ حكامها بزمام المبادرة بامتلاكهم القوة العسكرية التي بدأت الجيوش الإسلامية تفتقدها متجاهلة الأمر الشرعي الذي يلزم المسلمون بضرورة إعداد القوة للتمكين لدين الله وحماية المسلمين.

أمام هذا الواقع المرير الذي جعل من بلاد المسلمين يقتطع منها جزء بعد الآخر من طرف الدول المسيحية، وكذا الهزائم المتكررة التي كانت تتكبدها الدولة العثمانية، والتحرش بها، وبالولايات الإسلامية المنضوية تحت لوائها، توصل إلى أن كيفية الإصلاح من أجل تجاوز الوضع المتردي، والتي في نظره تكمن بالدرجة الأولى بإصلاح المؤسسة العسكرية بسبب الظروف الدولية المحيطة بالعالم الإسلامي آنذاك.

كل ما سبق جعل المفتي بن العنابي يعتمد على فقهه بدعوته إلى التفاعل مع الحضارة الغربية، من أجل مواكبة التطور، منطلقا من الإسلام ذاته، داعيا إلى العمل بمنجزات الحضارة الغربية التي لها أصل في شرعنا، متخذنا من الواجب الشرعي معيارا ومرجعا، انطلاقا من منهج الاهتداء بالأصول واعتماد مبدأ الاجتهاد .

ويؤسس ابن العنابي أرائه على فرضية جواز اقتباس النظام العسكري الغربي، مسوغا ذلك الاقتباس عبر آليتين أولهما فقه الضرورة، حيث أن «ضرورة الحال» «والحاجة» تدعوان المسلمين إلى تحديث نظامهم العسكري الذي ألفوه منذ قرون، والثانية وجوب الطاعة لولي الأمر؛ لذا يجب امتثال أمر السلطان في الأخذ بالنظام حتى لا يخرج المسلم عن الطاعة المطلوبة منه فإن مات كان على الجاهلية، والنص الرئيسي الذي استند إليه قوله تعالى «وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة»، حيث من خلال عملية تأويل النص ذهب إلى أن القوة تشمل الأمور الحسية المادية والأمور المعنوية، وهي بذلك تشتمل على أي منفعة لها تتعلق بإعزاز الدين ورفعة شأنه مما اشتمل عليه النظام الجديد للكفرة لاندراجه في عموم الآية الكريمة.

ورغم كل هذه الآراء والأفكار الجديدة التي جاء بها فإنه لا ينبغي علينا أن نتحامل على الشيخ بن العنابي معتقدين أنه يدعو للانفتاح على الغرب والاقتباس عنه مطلقاً، لكنه لما كان مُدركاً أن الدولة العثمانية والولايات المنضوية تحت لوائها انفتحوا على أفكار الحداثة واقتبسوا بعضاً منها أبدى انفتاحه عليها دون تردد، والدعوة إلى الانتهال من ثمراتها المعرفية دون تحرج، لكنه في المقابل أخضعها للمساءلة ومدى مطابقتها للحاجات الاجتماعية والفكرية للمجتمع العربي الإسلامي، مستدركا بالقول إن كانت هذه الأفكار لها أصل في ديننا ورغبنا في العمل بها فيجب أن يكون ذلك «على نية أخذه من شرعنا لا قصد إتباعهم فيه لأنه لا يحل لنا ذلك».

يعتبر المفتي بن العنابي رائدا بحق في التجديد الإسلامي ورمزا وقدوة بين مفكري ومصلحي العالم الإسلامي، كونه لم ينبغ في الفقه فقط، بل أبدع أيضا في الجانب السياسي والعسكري، فهو بمثابة الخبير العسكري والاستراتيجي في زمننا هذا، تقدم على معاصريه– الذين أخلطوا بين التجديد والتحرر مما أسموه "بقيود الدين" أمثال رفاعة الطهطاوي– بنظرته الثاقبة وفكره التجديدي وأعماله الرائدة والجادة التي قامت على رؤية إسلامية صحيحة بعيدة عن الدجل والفكر التغريبي الهدام.

قائمـــة المـلاحـــــق

ملحق رقم:01

صورة من الصفحة الأخيرة من إجازة المفتي بن العنابي لمحمد بيرم وفيها يحدد تاريخ مولده بنفسه

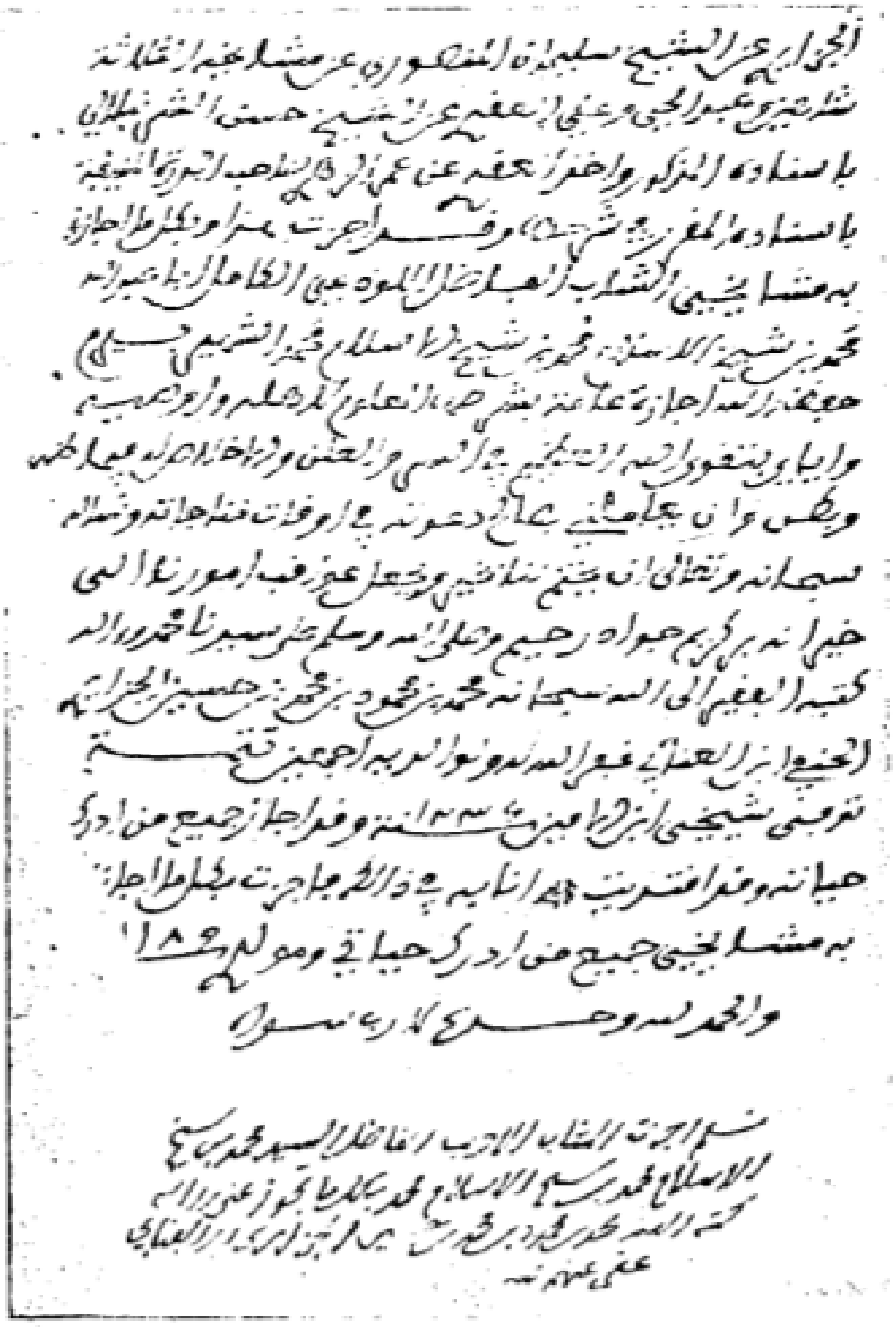

المصدر:

أبو القاسم سعد الله، رائد التجديد الإسلامي محمد بن العنابي، مرجع سابق، ص.120.

ملحق رقم:02

جدول يوضح أسماء المفاتي الحنفية بالجزائر ما بين سنتي1613 و1878م:

الاسم	التاريخ	الاسم	التاريخ	الاسم	التاريخ
محمد بن يوسف	1613م	حسين بن محمد	1713م	محمد بن عبد الرحمن بن حسين	1809م
محمد بن حسين	1619م	محمد بن مصطفى	1715م	أحمد بن إبراهيم البابوجي	1811م
مصطفى بن محمد	1627م	الحاج علي بن مسلم	1723م	محمد بن عبد الرحمن بن راسيل	1816م
محمد بن رمضان	1635م	حسين بن محمد بن العنابي	1735م	أحمد بن حسين	1817م
حسين بن مصطفى بن رمضان	1658م	محمد بن محمد بن سيدي علي	1737م	محمد بن محمود بن حسين العنابي	1818م
مسلم بن علي	1679م	حسين بن مصطفى	1755م	أحمد بن إبراهيم	1819م
محمد بن مسلم	1679م	حسن بن فضلي	1756م	محمد بن عبد الرحمن	1828م
محمد بن حسين	1689م	محمد بن مصطفى الوافي	1757م	الحاج أحمد بن الحاج عمر بن مصطفى	1829م
محمد بن مسلم	1690م	حسن بن أحمد التفاحي	1763م	الحاج محمد بن محمود العنابي	/
حسين بن رجب	1690م	مصطفى بن عبد الله	1766م	الحاج مصطفى أفندي	/
محمد بن مصطفى المدعو ابن المتسي	1698م	محمد بن مصطفى	1767م	محمد بن شعبان	1835م
حسين بن محمد	1706م	حسن بن أحمد	1777م	أحمد بن محمد بن رجب	1844م
محمد بن مصطفى	1710م	محمد بن اسماعيل	1785م	الحاج محمد بن مصطفى غرناوط	1847م
حسين بن محمد	1710م	محمد بن عبد الرحمن	1789م	الحاج أحمد بن الحاج مصطفى	1848م
محمد بن مصطفى	1711م	أحمد بن إبراهيم بن أحمد	1809م	أحمد بوقندورة	1878م

المصدر:

أبو القاسم محمد الحفناوي، مصدر سابق، ص ص.472-473.

ملحق رقم:03

يتضمن صورة من الصفحة الأولى من كتاب"السعي المحمود في ترتيب الجنود" للمفتي بن العنابي

بسم الله الرحمن الرحيم

يا من يوحد بنصره من يشاء. وله العز والجبروت والكبريا احمدك على ما اوليت موالاة. واصلي واسلم على سيدنا محمد خاتم الانبيا. وعلى اله وصحبه الاعما الاتقيا

اما بعد فقول العبد المستمد من الفيض الوهابي محمد بن محمود الطاهري بن القاضي

انه لما حدث في هذه الاعصار الاخرة تطاولت طغاة الامم الكافرة بترتيب

اجنادهم على طريقة محكمة ابتدعوها وتدريبهم على فنون تخيل اخترعوها

قصد المكيدة الاسلام واهله وسعيا في استباحة حماه وتمزيق شمله خيبالله

امالهم واكذب ظنونهم وابطل اعمالهم وجوب عظم لما الخطب في ترتيب نظامهم

وتقاعد الحماة دون نيل مرامهم فدعت ضرورة الحال الى استكمال ذلك من قبلهم

والتدرب على ما الفوا من صنايعهم وحيلهم فرتبت العساكر الاسلامية على نحو

من ذلك نظاما جديدا وصدر به من جانب السلطنة العلية امرا اكيدا

امام بيدها امرا اكيدا وضيقت ملابس الجند واختصرت وقلت الوانها

وقصر فسنكر ذلك الناس وطرقت اسماعهم من بعض متصلفة وسواس

وقد جرى بيني وبين بعض افاضل الاخوان في مجمع انس حادثه الزمان كلام

علق منه بباله فوجه الي خطابه بكتابة جواب على سؤاله فرايت ان اسفعه بما لم

واوجه بسطا بانا سب المقام فاقول في جوابه مستمدا بتجديد خطابه اعلم

اولا انه قد عرف ان ترتيب نظام الجند على الوجه الذي ابتدعه الكفرة بحصره

امرا ان احدهما امور حربية والثاني امور سياسية فترتيب الجواب على مقصدين

وتذييله بخاتمة مستعينين بحوله فنقول وقوله المقصد الاول في الامور الحربية

المصدر:

أبو القاسم سعد الله، **رائد التجديد الإسلامي...**، مرجع سابق، ص.110.

ملحق رقم:04

صورة لبطاقة تعريفية لشرح قصيدة في علم العروض للغرناطي بخط وتعليق المفتي بن العنابي

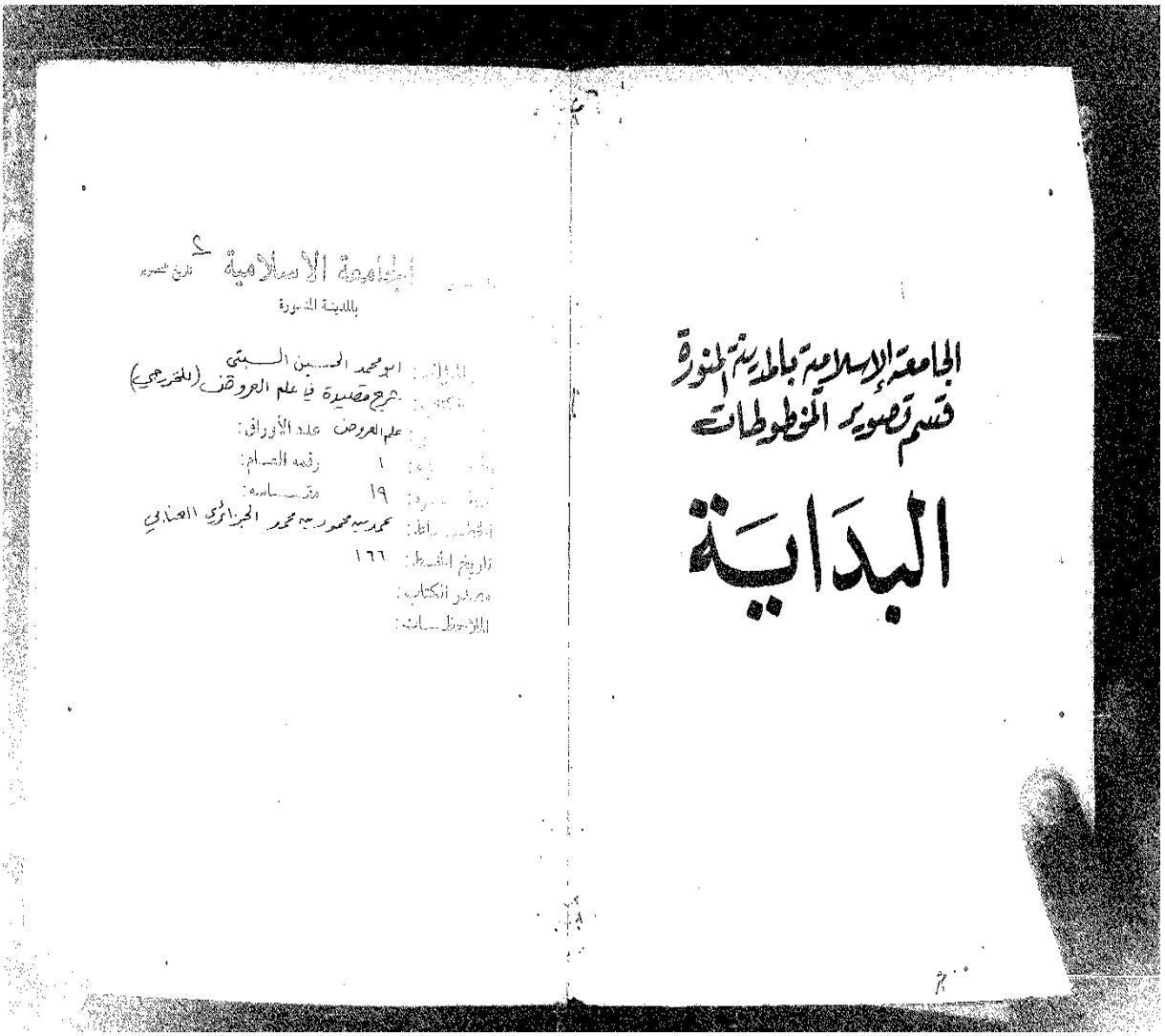

المصدر:

الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة – قسم تصوير المخطوطات–

الملحق رقم:05

يتضمن المادة الخامسة من ترجمة الاتفاق بين الجنرال دو برمون والداي حسين

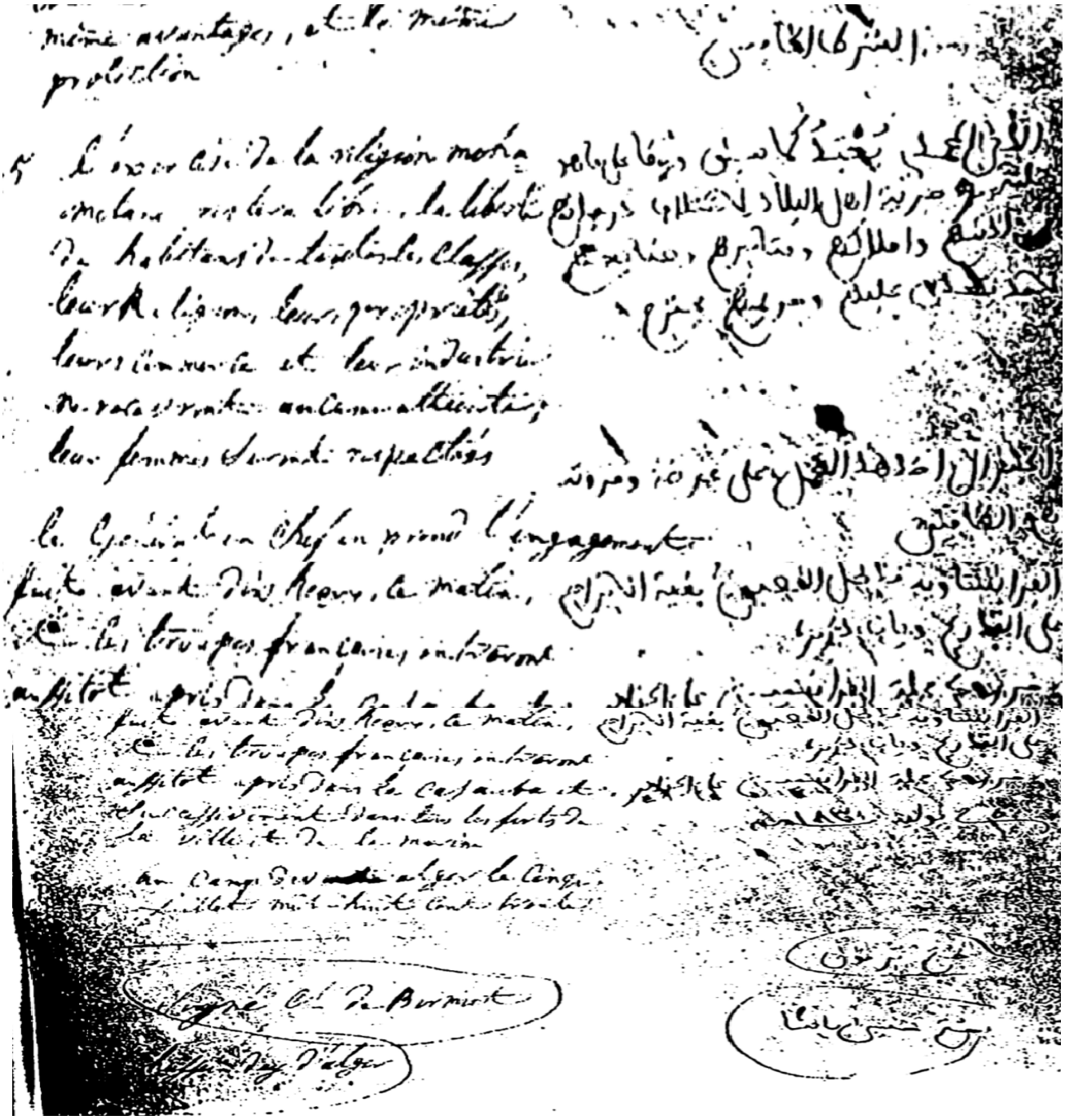

المصدر:

عبد الحميد زوزو، **نصوص ووثائق من تاريخ الجزائر المعاصر 1830-1900**، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 2009، ص.72.

قـــائمـــة
المصادر و المراجع

I / باللغة العربية:

القرآن الكريم برواية ورش.

1. المصادر:

1/ الكتب المطبوعة:

1. الأبشيهي شهاب الدين محمد بن أحمد، **المستطرف في كل فن مستظرف**، ت.محمد خير طعمة الحلبي، دار المعرفة، بيروت، ط 5، 1429هـ/2008.
2. ابن العنابي محمد بن محمود، **السعي المحمود في نظام الجنود**، تق و تح محمد بن عبد الكريم الجزائري، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1983.
3. ابن المفتي حسين بن رجب شاوش، **تقييدات بن المفتي في تاريخ باشوات الجزائر وعلمائها**، (جمعها واعتنى بها الأستاذ فارس كعوان)، بيت الحكمة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009.
4. أبو زهرة محمد، **أبو حنيفة (حياته وعصره-آراؤه وفقهه)**، ط2، دار الفكر العربي، القاهرة، 1955.
5. **إجازات حديثية جزائرية**، عن.مصطفى ضيف، دار التوفيقية، المسيلة، 1433هـ-2012م.
6. آل الشيخ عبد الرحمن بن عبد اللطيف بن عبد الله ، **مشاهير علماء نجد وغيرهم**، ط2، دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، السعودية، 1394هـ.
7. آل الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمان بن حسن ، **مصباح الظلام (في الرد على من كذب على الشيخ الإمام ونسبه إلى تكفير أهل الإيمان والإسلام)**، مطبوعات وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، السعودية، 1424هـ-2003م.
8. بن ميمون محمد الجزائري، **التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية**، تق و تح. محمد بن عبد الكريم، ش. و. ن. ت، الجزائر، 1972.
9. التميمي أحمد أفندي، **الفوائد الزكية في إعراب الأجرمية**، تح.تع: نهاد عبد الفتاح بدرية وعلي كمال أبو عون، دار الكتب العلمية، بيروت، 1971.
10. التميمي البستي أبو حاتم محمد بن حبان بن أحمد، **صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان**،ج1، ت: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط2، 1414-1993.

11. الحفناوي محمد أبو القاسم، **تعريف الخلف برجال السلف**، مطبعة بيير فونتانه، الجزائر، 1324هـ-1907م.
12. خوجة حمدان بن عثمان، **المرآة**، تق و تع و تح. الزبيري العربي، ط 2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982.
13. الذهبي شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان، **سير أعلام النبلاء**، تح.شعيب الارنؤوط ومحمد نعيم العرقسوسي، ج18، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1405هـ-1984م.
14. الراشدي أحمد بن محمد بن علي بن سحنون، **الثغر الجماني في إبتسام الثغر الوهراني**، تح و تق.المهدي البوعبدلي، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013.
15. الزهار أحمد الشريف، **مذكرات نقيب أشراف الجزائر (1754-1830)**، (تق،تح: أحمد توفيق المدني)، ش.و.ن.ت، الجزائر، 1974.
16. السنوسي أبو عبد الله محمد بن عثمان، **مسامرات الظريف بحسن التعريف**، تح و تع محمد الشادلي النيفر، ج 4، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1994.
17. الشاطبي إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي، **الموافقات**، ت.بكر بن عبد الله أبو زيد، م5، دار بن عفان للنشر والتوزيع، السعودية، 1417هـ-1997م.
18. الشاطبي أبي إسحاق إبراهيم بن موسى، **الاعتصام**، ت:محمد بن عبد الرحمان الشقير، ج1، دار بن الجوزي، السعودية، 1429هـ - 2008م.
19. عبد الحميد بيك، **أعيان من المشارقة والمغاربة(تاريخ عبد الحميد بيك)**، تق.تع:أبو القاسم سعد الله، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2000.
20. الفكون عبد الكريم، **منشور الهداية في كشف حال من ادعى العلم الولاية**، ت.ت.ت أبو القاسم سعد الله، دار الغرب الاسلامي، بيروت، 1987.
21. **مجموع فيه إجازات من علامة الجزائر بن العنابي الأثري(1189-1267)**، تح.محمد زياد بن عمر التكلة، لقاء العشر الأواخر بالمسجد الحرام، دار البشائر الإسلامية، بيروت، 1429هـ-2008م.

22. الناصري أبو راس، **عجائب الأسفار ولطائف الأخبار**، دراسة وتحقيق محمد بوركبة،ج1، منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، الجزائر، 2011.
23. هابنسترايت.ج.أو، رحلة العالم الألماني إلى الجزائر وتونس وطرابلس(1145هـ-1732م)، تر و تق و تع.ناصر الدين سعيدوني، دار الغرب الإسلامي، تونس، 2007.
24. الوهراني مسلم بن عبد القادر، **خاتمة أنيس الغريب والمسافر**، تح:رابح بونار، د.ط، د.ط، سلسلة ذخائر المغرب العربي، ش.و.ن.ت، الجزائر، 1974.

2. المراجع :

1/ الكتب:

25. الإسكندري عمر وحسن سليم، **تاريخ مصر من الفتح العثماني إلى قبيل الوقت الحاضر**، ط2، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1416هـ- 1996م.
26. المدني أحمد توفيق، **محمد بن عثمان باشا داي الجزائر (1766-1791)**، م.و.ك، الجزائر، 1986.
27. الميلي محمد المبارك، **تاريخ الجزائر القديم و الحديث**، ج3، مكتبة النهضة، الجزائر، 1964.
28. بايابي سيدي أحمد، **الجزائر**، سلسلة الفن والثقافة، وزارة الإعلام والثقافة، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1974.
29. بشيري أحمد، **علماء من المغرب في الأزهر الشريف**، منشورات ثالة، الجزائر، 2007.
30. البغدادي إسماعيل باشا، **هدية العارفين أسماء المؤلفين وأثار المصنفين**، م2، المطبعة البهية لوكالة المعارف الجليلة، استانبول، 1955.
31. بقطاش خديجة، **الحركة التبشيرية الفرنسية في الجزائر 1830-1871**، الجزائر، 1977.
32. بن أشنهو عبد الحميد، **دخول الأتراك العثمانيين إلى الجزائر**، الطباعة الشعبية للجيش، الجزائر، 1972.

33.بن طرهوني محمد بن رزق، **التفسير والمفسرون في غرب إفريقيا**، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، 1426.

34.بن قينة عمر، **الرؤية الفكرية في الحاكم والرعية لدى(ابن المقفع وابن العنابي والكواكبي)**، دار أسامة للنشر والتوزيع، عمان-الأردن، 2000م.

35.بوحوش عمار، التاريخ **السياسي للجزائر من البداية ولغاية 1962**، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1997.

36.بوعزيز يحيى، **الموجز في تاريخ الجزائر**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1965.

37.التر عزيز سامح، **الأتراك العثمانيون في إفريقيا الشمالية**، تر.محمود علي عامر، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، 1989.

38.تميم آسيا، **شخصيات جزائرية 100 شخصية**، دار المسك، الجزائر، د س.

39.تيران إيفون، **المواجهات الثقافية في الجزائر المستعمرة (المدارس و الممارسات الطبية والدين 1830-1880)**، ت.محمد عبد الكريم أوزغلة، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2007.

40.الجميعي عبد المنعم، **الدولة العثمانية والمغرب العربي**، دار الفكر العربي، القاهرة، 2007.

41.الجيلالي عبد الرحمان، **تاريخ الجزائر العام**، 04 أجزاء، ج4، دار الأمة، الجزائر، 2010.

42.الجيلالي عبد الرحمان، **تاريخ الجزائر العام**، ج3، ط7، د.م.ج، الجزائر، 1994.

43.خالد رمول، **الإطار القانوني والتنظيم لأملاك الوقف في الجزائر**، دار هومة، الجزائر، 2004.

44.خلاصي علي، **القصبة مدينة الجزائر**، ج1، دار الحضارة، الجزائر، 2007.

45.دودو أبو العيد، **الجزائر في مؤلفات الرحالين الألمان(1815-1855)**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1975.

46.راشد أحمد إسماعيل، **تاريخ الأقطار المغرب العربي السياسي الحديث والمعاصر (ليبيا–تونس–الجزائر–المغرب–موريتانيا)**، دار النهضة العربية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 2004.

47.ريمون أندري، **المدن العربية الكبرى في العصر العثماني**، ترجمة لطيف فرج، دار الفكر للدارسات والنشر والتوزيع، القاهرة، 1991.

48.زوزو عبد الحميد، **نصوص ووثائق من تاريخ الجزائر المعاصر 1830–1900**، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 2009.

49.زيادة خالد، **اكتشاف التقدم الأوروبي–دراسة في المؤثرات الأوروبية على العثمانيين في القرن الثامن عشر–**، دار الطليعة، بيروت، 1981.

50.سبنسر وليام، **الجزائر في عهد رياس البحر**،تع و تق.عبد القادر زبادية، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2006.

51.السرجاني راغب، **روائع الأوقاف في الحضارة الإسلامية**، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 2010.

52.سعد الله أبو القاسم، **رائد التجديد الإسلامي محمد بن العنابي**، ط2، دار الغرب الإسلامي،2005.

53._____، **أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر**، ج4، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1996.

54._____، **الحركة الوطنية الجزائرية 1830–1900** ،ج1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1992.

55._____، **تاريخ الجزائر الثقافي(1500–1830)**، ج1، دار الغرب الإسلامي، الجزائر،1998.

56._____، **تجارب في الأدب والرحلة**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1983.

57._____، **محاضرات في تاريخ الجزائر (بداية الاحتلال)**، ج1، ط3، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982.

58.سيدي موسى محمد الشريف وكواتي مسعود، **أعلام مدينة الجزائر ومتيجة، دار الحضارة**، الجزائر، 2007.

59.شاكر محمود، **التاريخ الإسلامي-العهد العثماني-**،ج8، ط3، المكتب الإسلامي، بيروت، 1991، ص.498.

60.شريط عبد الله والميلي محمد، **الجزائر في مرآة التاريخ**، مكتبة البعث، قسنطينة، 1965.

61.الصابوني محمد علي، **صفوة التفاسير**، ج1، ط2، دار القرآن الكريم، لبنان، 1401هـ-1981 م.

62.صبري محمد، **تاريخ مصر من محمد علي إلى العصر الحديث**، ط 2، مطبعة مدبولي، القاهرة، 1417هـ- 1996م.

63.طقوش محمد سهيل، **تاريخ العثمانيين من قيام الدولة إلى الإنقلاب على الخلافة**، ط3، دار النفائس، بيروت، 2013.

64.عباد صالح، **الجزائر خلال الحكم التركي(1514-1830)**، ط2، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2012.

65.عبد الغني قاسم عبد الحكيم، **تاريخ البعثات العلمية في عهد محمد علي**، مكتبة مدبولي، القاهرة، 2010.

66.عبد الفتاح علي، **أعلام المبدعين من علماء العرب والمسلمين**، ج1، دار بن حزم، بيروت، 1431هـ-2010م.

67.العلاونة أحمد، **العلماء العرب المعاصرون ومآل مكتباتهم**، دار البشائر الاسلامية، بيروت، 1432-2011.

68.عميراوي احميده، **قضايا مختصرة في تاريخ الجزائر الحديث**، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، عين مليلة، 1426-2005.

69.غربال محمد شفيق، **محمد علي الكبير**، د.ط، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، 2014.

70.فركوس صالح بن النبيل، **تاريخ جهاد الأمة الجزائرية للإحتلال الفرنسي المقاومة المسلحة(1830-1962)**، دار العلوم للنشر والتوزيع، الجزائر، 2012.

71.فلنزي لوسات، **المغرب العربي قبل احتلال الجزائر 1790-1830**، تر.حمادي الساحلي، مطبعة سراس، تونس، 1994.

72.قنان جمال، **نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر الحديث1500-1830**، دار الرائد، الجزائر، 2010.

73.محفوظ قداش، **الجزائر للجزائريين، تاريخ الجزائر(1830-1945)**، ت:محمد المعارجي،
المؤسسة الوطنية للإتصال النشر والإشهار، الجزائر، 2008.

74.مداح أميرة، **نظرة متأنية في تاريخ الدولة العثمانية**، ط1، دار الحارثي، الطائف، 1418هـ-1998م.

75.مصطفى محمود، **الأدب العربي في مصر من الفتح الإسلامي إلى نهاية العصر الأيوبي**، دار الكتاب العربي، القاهرة، 1967.

76.المهدي محمود أحمد، **نظام الوقف في التطبيق المعاصر**، مكتبة الملك فهد الوطنية، جدة، 1423هـ.

77.الميلي مبارك بن محمد الهلالي، **تاريخ الجزائر في القديم والحديث**، ج3، مكتبة النهضة الجزائرية الجزائر، 1964.

78.نور الدين عبد القادر، **صفحات في تاريخ مدينة الجزائر**، مطبعة البعث، قسنطينة، 1965.

79.الهندي محمود إحسان، **الحوليات الجزائرية تاريخ المؤسسات في الجزائر من العهد العثماني إلى عهد الثورة فالاستقلال**، العربي للإعلان والنشر والطباعة والتوزيع، دمشق، 1977.

2. القواميس والمعاجم:

80.الزركلي خير الدين، **الأعلام (قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين)**، ج2، دار العلم للملايين، بيروت، ط15، أيار(مايو)2002.

81. _____، **الأعلام (قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين)**، ج6، دار العلم للملايين، بيروت، ط15، أيار (مايو)، 2002.

82. _____، **الأعلام (قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين)**، م1، دار العلم للملايين، بيروت، ط7، أيار (مايو) 1987.

83. _____، **الأعلام (قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين)**، ج7، دار العلم للملايين، بيروت، ط7، أيار (مايو) 1987.

84. الكتاني عبد الحي بن عبد الكبير، **فهرس الفهارس والأثبات (ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات)**، ج2، دار الغرب الإسلامي، ط2، بيروت، 1402هـ-1982م.

85. الكتاني عبد الحي بن عبد الكبير، **فهرس الفهارس والأثبات (ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات)**، ج1، دار الغرب الإسلامي، ط2، بيروت، 1402هـ-1982م.

86. كحالة عمر رضا، **معجم المؤلفين**، ج1، مؤسسة الرسالة، بيروت،1993.

87. محفوظ محمد، **تراجم المؤلفين التونسيين**، ج1، دار الغرب الإسلامي، ط2، بيروت، 1994.

88. نويهض عادل، **معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر**، ط2، مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، بيروت، 1400هـ-1980م.

3. الرسائل والأطروحات الجامعية:

89. بولحبال رياض، "**أخبار بلد قسنطينة وحكامها لمؤلف مجهول**(دراسة وتحقيق)"، مذكرة ماجستير، غير منشورة، في التاريخ وعلم الأثار،(إشراف:إسماعيل سامعي)، جامعة قسنطينة، 2009-2010.

90.صديقي بلحاج، "**المكتبات الجزائرية في القطاع الوهراني خلال الفترة 1830م-1954م**"، أطروحة ماجستير في تاريخ الجزائر الثقافي والتربوي، معهد التاريخ، جامعة الجزائر،1989.

4. المجلات والدوريات العلمية :

91.آجقو علي، "**دور الكتاتيب القرآنية الحرة في الحفاظ على القرآن واللغة العربية في الجزائر**"، **مجلة آفاق للثقافة والتراث**، العدد (49)،السنة(13)، دبي، نيسان/ابريل 2005.

92.بوشنافي محمد، "**علماء المذهب الحنفي في الجزائر خلال العهد العثماني(10-13هـ/16-19م)**"، مجلة عصور الجديدة، مختبر البحث التاريخي تاريخ الجزائر-جامعة وهران-الجزائر،العدد16-17، شتاء- ربيع(أبريل)1436هـ/2014-2015م.

93.البوعبدلي المهدي، "**الإحتلال الفرنسي للجزائر ومقاومة الشعب في الميدان الروحي**"، **مجلة الأصالة**، العدد الثامن (ربيع الثاني- جمادى الأولى1392) (ماي- جوان1972).

94.حاجي فريد، "**محمد بن محمود ابن العنابي وموقفه من حضارة الغرب في القرن19م**"، **مجلة الدراسات التاريخية** (تصدر عن قسم التاريخ كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية)، جامعة الجزائر2، ع 15و1433،16-1434هـ/2012-2013 م.

95.زيادة خالد، "**السلطة المدنية من خلال وثائق المحاكم الشرعية**"، **المجلة التاريخية المغربية**، عدد39-40، مطبعة الإتحاد العام للشغل، تونس، 1985.

96.سعد لله أبو القاسم، "**من آثار إبن العنابي**". **مجلة الأصالة**. مج 15، ع 37 /36، تلمسان: منشوارت وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، الجزائر، 2011.

97. سعد لله أبو القاسم، "**من آثار إبن العنابي**" ، **مجلة الأصالة**، مج 15، ع 37 /36، تلمسان: منشوارت وزارة الشؤون الدينيـــــة والأوقاف، الجزائـــــر، 2011، ص ص.94،96،97.

98.ضيف لله عقيلة، "**النظام القانونـــــي و نظم تطبيق الشريعة في العهد العثماني**"، **مجلة بحوث**، عدد 4، 1997.

99.فركوس صالح، "**الباي محمد الكبير و دوره في بعث الحركة الثقافية ببايلك الغرب**"، مجلة **الثقافة**، عدد 71، 1982.

100.لزغم فوزية، "**الإجازات العلمية لعلماء الجزائر العثمانية**"، **مخبر مخطوطات شمال إفريقيا**، جامعة وهران، 2009.

101.مسدور فارس ومنصوري كمال، "**التجربة الجزائرية في إدارة الأوقاف التاريخ والحاضر والمستقبل**"، **مجلة الأوقاف**، الجزائر، 2003.

102.المشهداني محمد حمد، سلوان رشيد، "**أوضاع الجزائر خلال الحكم العثماني(1518-1830)**"، **مجلة الدراسات التاريخية والحضارية**، مجلد5، العدد16، أوت 2013، جامعة تكريت(العراق).

103.نمير عقيل، "**حول أوقاف مدينة الجزائر في القرن الثامن عشر(أوقاف مؤسسة سبل الخيرات من خلال المساجد الحنفية)**"، مجلة دراسات إنسانية، عدد خاص، الجزائر، 2002/2001.

5. المؤتمرات:

104.آجقو علي، "**المفتي الحنفي الجزائري ابن العنابي وإسهاماته في مجال الثقافة، السياسة، الإصلاح والمقاومة**"، **المؤتمر الدولي الحنفية والماتيريدية**، كلية الالاهيات، جامعة قسطموني، تركيا، أيام 5-7 مايو 2017.

6/ الويبوغرافيا:

1. المجلات والدوريات العلمية الإلكترونية:

105.التكلة محمد زياد، " ترجمة العلامة المفتي ابن العنابي الجزائري الأثري". الألوكة الثقافية.(على الخط المباشر).تمت الزيارة يوم:2018/02/06، متاح على الانترنت على الرابط الآتي: http://www.alukah.net/culture/0/2986/

106.التكلة محمد زياد، "**ترجمة العلامة المفتي ابن العنابي الجزائري**". **المكتبة الجزائرية الشاملة**.(على الخط المباشر).تمت الزيارة يوم:2018/05/26، متاح على الانترنت على الرابط الآتي: http://shamela-dz.net/?p=933

تمت الزيارة يوم:2018/02/26، متاح على الأنترنت على الرابط الآتي: النخبة-

107.حافظ فاطمة، "**الفقيه وتحديث المؤسسة العسكرية في بواكير القرن التاسع عشر**".**جريدة الحياة**. (على الخط المباشر).تمت الزيارة يوم:2018/02/22، متاح على الأنترنت على الرابط الآتي: http://www.alhayat.com

108.مولود عويمر، "النخبة الإصلاحية الجزائرية وسؤال التنوير في القرن 19 م وبدايات القرن 20". جمعية العلماء المسلمين الجزائريين.(على الخط المباشر).تمت الزيارة يوم:2018/02/26، متاح على الأنترنت على الرابط الآتي: النخبة-الإصلاحية-الجزائرية-وسؤال- الت/http://www.oulamadz.org/2015/07/08/

II / باللغات الأجنبية:

1.Les Sources:

109. Bigenet(E) : **Une lettre du bey de constantine 1827**; in R.A, V°43,(1899) .

110. BOYER (P.), "**contribution à l'étude politique religieuse des turcs dans la règence d'Alger** "in R.O.M,M.,N°1 ,1966.

111. Clauzel, **Observation du général Clauzel sur quelques actes de son gouvernement d'Alger**, Paris, 1831.

112. de Tocqueville Alexis, **Seconde lettre sur l'Algérie, Ed: Zirem, Bejaia-Algérie**, 2006.

113. DE VOULX.A., **TACHRIFAT RECUEIL DE NOTES HISTORIQUES SUR L'ADMINISTRATION DE L'ANCIENNE RÉGENCE D'ALGER**, IMPRIMERIE DU GOUVERNEMENT, ALGER ,1852.

114. Esquer Gabriel, **les commencements d'un empire, la prise d'Alger 1830**, L'Afrique Latine, Alger ،1923.

115. LAUGIER, DE TASSY, **Histoire d'Alger et le bombardement de cette ville en 1816**, S.M.E, Amsterdam,1825.
116. MERCIER (E.) , **Etude sur la confrerie des khouans de sidi Abd- El Kader El Djellani** , Arnolet, Paris, 1869.
117. Pellissier de Reynaud, Annales Algériennes, tome 1, librairie militaire, Paris,1854 .
118. RINN, **Marabouts et Khouans, étude sur l'islam en Algérie**, A. Jourdan, Alger, 1884.
119. SHAW, **Voyage dans la régence d'Alger**, trad de l'Anglais par J.Mac.Carthy, 2ème ed, Bouslama, Tunis ,1980.
120. Venture de Paradis, Tunis et Alger au XVIII éme siècle; mémoire et observation, rassemblé et présenté par Joseph Cuoq, Sindabad, Paris,1983.
121. yacono.x, **les bureaux arabes(l'évolution des genres de vie indigénes dans l'ouest du tell Algérois)**, édition de la rose, paris véme , 1954.

2. Les Documents:

122. Abdesselem Ahmed, **Les historiens tunisiens des 17,18 et 19 éme siècle**, librairie, klincksieck , tunisie, 1973.
123. Bauden Frédéric, **Catalogue of the Arabic, Persian and Turkish Manuscripts in Belgium**, Volume 1 Handlist Part 1 : Part 1 : Université de Liège, BRILL, 2016.
124. Djeghloul Abdel Kader;**De Hamdan Khodja a Kateb yacine** ,Dar El Gharb ,Oran- alger ,2009.
125. Gaîd Miloud, **L'Algérie sous les turcs**, 2éme edition, Edition Mimouni, Alger, 1991 .
126. KADDACHE(M.) ,**L'Algérie durant la période Ottomane**, O.P.U , Alger, 1991.
127. RAYMOND (A.), **Grandes villes arabes à l'èpoque Ottomane**, Sindbad, Paris, 1985.
128. valensi Lucette, **le Maghreb avant la prise d'Alger (1790-1830)**, Flammarion, France, 1962.

فهرس المحتويات

فهرس المحتويات

الموضوع	الصفحة
مقدمة	أ
الفصل التمهيدي: عصر المفتي محمد بن العنابي سياسياً واجتماعياً وثقافيا.	**7**
المبحث الأول: الحالة السياسية.	9
المبحث الثاني: الحالة الاجتماعية.	13
المبحث الثالث: الحالة الثقافية.	19
الفصل الأول: التعريف بالمفتي محمد بن العنابي.	**28**
المبحث الأول: تسميته و أصله.	30
المطلب الأول: اسمه و كنيته.	30
المطلب الثاني: نسبه.	31
المطلب الثالث: لقبه.	32
المبحث الثاني: ولادته وأسرته و نشأته.	34
المطلب الأول: ولادته.	34
المطلب الثاني: أسرته.	35
المطلب الثالث: طفولته.	36
المبحث الثالث: تكوينه العلمي و التربوي.	38
المطلب الأول: نشأته العلمية.	38
المطلب الثاني: شيوخه.	40
المطلب الثالث: مذهبه الفقهي.	43
الفصل الثاني: جهوده الإصلاحية وعطاءاته العلمية.	**45**

المبحث الأول: جهوده الإصلاحية.	47
المطلب الأول: جهوده في مجال الإصلاح السياسي.	47
المطلب الثاني: جهوده في مجال الإصلاح العسكري.	51
المطلب الثالث: جهوده في الإصلاح الديني والاجتماعي.	55
المبحث الثاني: مناصبه و عطاءاته العلمية.	60
المطلب الأول: القضاء.	60
المطلب الثاني: الإفتاء.	61
المطلب الثالث:التمثيل الدبلوماسي و التدريس.	63
المبحث الثالث: أهم مؤلفاته و رأيه حول المرأة وبعض أشعاره.	68
المطلب الأول: أهم مؤلفاته.	68
المطلب الثاني: رأيه حول المرأة.	74
المطلب الثالث: بعض أشعاره.	77
الفصل الثالث: المحطات الكبرى للمفتي محمد بن العنابي.	**79**
المبحث الأول: هجرته خارج بلده و عودته إليها ثم نفيه لمصر.	81
المطلب الأول: الهجرة الأولى 1820-1829(مصر- السعودية- تونس).	81
المطلب الثاني: عودته إلى الجزائر(1829 – 1831).	83
المطلب الثالث: الهجرة الثانية 1831 حتى وفاته(نفيه إلى مصر).	86
المبحث الثاني: تلاميذه و موقفه من الاحتلال الفرنسي.	88
المطلب الأول: تلاميذه.	88

المطلب الثاني: موقفه من الاحتلال الفرنسي.	91
المطلب الثالث: شخصيته.	95
المبحث الثالث: محنته و وفاته و الثناء عليه.	97
المطلب الأول: محنته وعزله من القضاء.	97
المطلب الثاني: وفاته.	99
المطلب الثالث: رثاؤه و الثناء عليه.	102
خاتمة.	**107**
قائمة الملاحق.	**111**
المصادر و المراجع.	**117**